من أخلاق الإسلام

في ضوء السنة النبوية

إعداد

د / نجاة عبد التواب باتع

مدرس الحديث وعلوم

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنات القاهرة – شعبة أصول الدين

قال الله عز وجل:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الأعراف: ١٩٩]

***

وقال ﷺ:

«إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»

[صدق رسول الله]

***

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ربنا لك الحمد ملء السموات ، وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد ، الحمد لله الذي له الأسماء الحسنى والصفات العظمى وله الكمال سبحانه المنزه عن كل صفة من صفات النقصان والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ورحمته للعالمين ، وجاء وصفه في الكتاب بقوله : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (القلم : ٤) وبعثه ليتمم مكارم الأخلاق ، ونزلَّت عليه الكتاب : ﴿**تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾ (النحل: ٨٩) وعلى آله وصحبه ومن أتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعدُ: الإسلام هو دين الله الحق الذي ارتضاه لخلقه ، وأرسل به أنبياءه ، أولهم نوح وأخرهم محمد ﷺ جميعًا ، وهو الدين الذي ارتضاه لعباده قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ** ﴾ (آل عمران : ١٩)

فالإسلام دين الناس جميعًا ، يهديهم إلى ربهم وينظم لهم شئون حياتهم بما يحقق لهم العدل والأمن والخير ، وهو رسالة قيم داخلاً من الدرجة الأولى حتى صح عن النبي ﷺ أنه قال : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" [(١)] مختصر رسالته في هذه المهمة الأخلاقية .

ولذا نجد الإسلام يربط بين الأخلاق والعقيدة حتى نفي الإيمان عمن لا أمانة له ، وعمن بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع، وعمن زنى أو سرق أو شرب الخمر ،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك : كتاب آيات رسول الله ﷺ التي دلائل النبوة / باب آخر كتاب البعث ٢/ ٦١٣ بلفظ صالح الأخلاق ، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، والقضاعي في مسند الشهاب ٢/ ١٩٢ : ١٩٣ برقم ١١٦٥ ، وأحمد في مسنده ٢/ ٣٩٨ ، والشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ١/ ١١٢ برقم ٤٥ وقال : هذا إسناد حسن بعد أن عزاه لأحمد والحاكم وغيرهم .

وجعل من لوازم الإيمان، صلة الرحم، وإكرام الضيف وقول الخير قالﷺ : " **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ** " (١) .

وربط بين الأخلاق والعبادات وجعلها من ثمراتها وفوائدها ، فإقامة الصلاة قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ**﴾ (العنكبوت: ٤٥) والزكاة تطهرهم وتزكيهم قال تعالى : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾ (التوبة: ١٠٣) ، والصيام يؤدي إلى التقوى قال تعالى : ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (البقرة: ١٨٣) والحج من العبادات الجامعة من صلاة وصيام وغيرها والهدف المرجو منه التقوى كما قال تعالى : ﴿**لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ** ﴾ (الحج: ٣٧) .

وإذا لم تؤت هذه العبادات أكلها وثمارها من الأخلاق والسلوك فقد فقدت قيمتها عند الله فقد قال ﷺ : " **رُبَّ صَائِمٍ حِظُّهُ مِنْ صِيامِهِ الجُوُع والْعَطَشُ ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيامِهِ السَّهَرُ** " (٢) .

كما ربط بين الإسلام والمعاملات بالأخلاق من الصدق والأمانة والعدل ، والإحسان والبر والصلة ، والمرحمة وغيرها .

وربط الحياة كلها بالأخلاق ، فلا انفصال بين العلم والأخلاق ، ولا بين السياسة والأخلاق ، ولا بين الاقتصاد والأخلاق ، ولا بين الحرب والأخلاق ، فالأخلاق

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الأدب / باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ١٣٥٨/٣ برقم ٦٠١٩ ،رقم ٦١٣٥ ،٦٤٧٦ ، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان / باب الحث على إكرام الجار والضيف ٦٨/١ : ٦٩ رقم ٧٤ ،٧٥ ،٧٦ ،٧٧ /٤٧ ، ٤٨ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك : كتاب الصوم / ترجمة جواز القبلة للصائم ١/ ٤٣١ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجه وأقره الذهبي ، والطبراني في الكبير ١٢/ ٣٨٢ برقم ١٣٤١٣ ، وأورده الهيثمي في المجمع ٣/ ٢٠٢ ، وقال : رجاله موثقون .

لحمة الحياة الإسلامية وسداها [1] .

ولما كنا نحن المسلمين في أمس الحاجة إلى الرجوع إلى أصول ديننا الحنيف والتخلق بأخلاق نبينا الكريم عزمت على أن أتتبع بعضًا من أخلاقه ﷺ حيث أن القلم يعجز عن حصر ما تحلى به النبي ﷺ عسى الله أن يرزقنا التخلق بأخلاقه ﷺ وأن ينفعنا بما علمنا .

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاث مباحث :

أما المقدمة : فتشتمل على أهمية الأخلاق ، والمنهج الذي اتبعته في البحث :

فالمبحث الأول : يشتمل على عدة مطالب هامة :

المطلب الأول : مفهوم الأخلاق .

المطلب الثاني : الغاية من الأخلاق .

المطلب الثالث : حاجة الإنسان إلى الأخلاق .

المطلب الرابع : الأخلاق منحة ربانية .

والمبحث الثاني : ويشتمل على جوانب من العقيدة والأخلاق : وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول : حرية العقيدة أصل الإيمان .

المطلب الثاني : ربط الإيمان بحب الخير للمسلمين .

المطلب الثالث : الحياء من الإيمان .

المطلب الرابع : الأمانة من الإيمان .

المطلب الخامس : الصبر مقام إيمان .

المبحث الثالث : ويشتمل على العلم والأخلاق : وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول : أهمية العلم للإنسان .

المطلب الثالث : آفات العلم .

ثم الخاتمـــــــة ، ثم فهرس المصادر والمراجع ، ثم فهرس الموضوعات .

---

(٣) دور القيم والأخلاق د. يوسف القرضاوي صـ ٧ ، ٨ .

المبحث الأول

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم الأخلاق .

المطلب الثانى : الغاية من الأخلاق .

المطلب الثالث : حاجة الإنسان إلى الأخلاق .

المطلب الرابع : الأخلاق منحة ربانية .

المطلب الأول : مفهوم الأخلاق

لغـــة : قــال ابن الأثير : الخُلق ــ بضم اللام وسكونها ــ الدين والطبع والسجية ، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه أوصافها ومعانيها المختصة بهــا بمنزلة الْخَلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ، ولها أوصاف حسنة وقبيحة ، والثواب والعقاب مما يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة [١] .

أما مفهوم الأخلاق في الاصطلاح : فقد عرفه الإمام أبو حامد الغزالي [٢] :

" الخَلْق والخُلُق " : عباراتان مستعملتان معًا ، يقــال : فلان حسن الخُلق أي حسن الظاهــر والباطن ، فيراد بالخَلق الصورة الحسنة ، ويــراد بــالخُلق : الــصورة الباطنة .

وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ، ومــن روح ونفــس مدركــه بالبصيرة ولكل واحد مهما هيئة وصورة ، إما قبيحة وإما جميلة ، فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرًا من الجسد المدرك بالبصر ، والمراد بالروح والنفس في هــذا المقام واحد .

فالخُلق : عبارة عن هيئة في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويــسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية .

فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعًا، سميت تك الهيئة خلقًا حسنًا ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة ، سميت تلك الهيئــة خلقًا سيئًا ، وإنما قلنا أنها هيئة راسخة؛ لأن من يصدر منه بذل المال في النــدور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت ورسوخ .

---

(١) النهاية لابن الأثير ٢/ ٧٠ .

(٢) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ٣/ ٥٣ .

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري [1] : الخلق : هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال الإرادية الاختيارية من حسنة أو سيئة ، جميلة وقبيحة ، وهي قابلة بطبعها لتأثير التربية الحسنة والسيئة فيها فإذا ما ربيت هذه الهيئة على إيثار الفضيلة والحق ، وحب المعروف والرغبة في الخير ، وروضت على حب الجميل ، وكراهية القبيح ، وأصبح ذلك طبعًا لها تصدر عنها الأفعال الجميلة بسهولة ، ودون تكلف قبل فيه خلق حسن ، كما أنها إذا أهملت أو ربيت فيها تربية سيئة حتى أصبح القبيح محبوبًا لها والجميل مكروهًا عندها ، وصارت الرذائل والنقائص من الأقوال والأفعال تصدر عنها بدون تكلف .

قيل فيها : خلق سيء وسميت تلك الأقوال والأفعال الذميمة التي تصدر عنها بالخلاق السيئة [2] .

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٥٣ ، مختصر منهاج القاصدين صـ ١٥٥ .

(٢) منهاج المسلم لأبى بكر الجزائرى صـ ١٩٣ .

المطلب الثانى : الغاية من الأخلاق الإسلامية

من رحمة الله سبحانه وتعالى أن رسم لهم سبيل النجاة والفلاح في دنياهم وآخراهم ، ولقد رسم القرآن الكريم لجماعة المؤمنين طريق النجاة والفلاح بقوله تعالى : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ (النحل : ٩٧) .

فهو طريق لاستمالة فيه ولا غموض بينه القرآن الكريم وبينه رسول الله ﷺ في تطبيق واضح وسلوك نقي وسنة مطهرة في قوله : " **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** " [١] .

وقد مدح الله نبيه بقوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (العلق : ٤) ، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾ (الإسراء : ٩) [٢] .

والإسلام حين يرسم منهاجًا خلقيًا للإنسان ويخصه على إتباعه والتزامه إنما يهدف بذلك إلى أمرين :

أولهما : تحقيق إنسانية الإنسان كاملة .

ثانيهما : إيجاد مجتمع متعاون متحابٍّ بنَّاء .

ففي الأمر الأول : فإنه يأخذ الإنسان كما هو دون أن يفسر إرادته أو يكلفها ما لا تطيق فالله عز وجل الذي خلق الإنسان وهو أعلم بمن خلق : ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ (الملك : ١٤) أودعه نوازع وغرائز متعارضة وأودعه نوازع الخير بالنفحة العلوية الروحية بقوله : ﴿ **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي** ﴾ (الحجر : ٢٩) وهي تشبه الجانب الملائكي ، وأودعه نوازع الشر وهي جانب الحمأ المسنون الذي يشبه الجانب الحيواني وفي

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أصول الأخلاق الإسلامية د/ بدر عبد الرزاق الماض صـ٥ .

اجتماعهما والتوفيق بينهما يتحقق الابتلاء الإنساني على هذه الأرض .

لقد بين القرآن الكريم والنبي ﷺ بما علَّمه الله مواطن الضعف الإنساني كلها ، والله عز وجل أكد ذلك مرارًا وتكرارًا في كتابه الكريم ﴿ **وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾ (النساء : ٢٨) فهو مزج فخور تارة ظلوم جهول تارة أخرى ، وعالج القرآن هذه النوازع فيه برفق ويسر ترغيبًا وترهيبًا للإقلاع عنها والتخلص من آثارها وبني شخصية إنسانية نظيفة السلوك، صادقة اللسان، عفيفة الجوارح، طاهرة الأردان ، يقيس على وجه الأرض وتنظر إلى ما عند الله والدار الآخرة وتوازن في وجودها الدنيوي بين المادة والروح كل ذلك في تسام مستمر ومحاولات جهادية دائبة نحو الأفضل والله عز وجل يأخذ بيد المقبل عليه ويوصله إلى بحبوحه رضاه : ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (العنكبوت:٦٩) والنبي ﷺ ذو الخلق العظيم : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (القلم : ٤) كان مثالاً في محاولة الترقي هذه فقد كان يقول في دعائه " **اللهم كما حسنت خلقي فحسن خُلقي**" [١] .

وفي صحيح مسلم في دعاء الافتتاح عن على بن أبى طالب عن رسول الله ﷺ وفيه : " **واهْدِني لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِي لأحْسَنِها إلا أنْتَ** " [٢] .

أما الأمر الثاني : فإن الأخلاق الإسلامية ترتكز أساسًا على النظر للإنسان على أنه جزء من الجماعة لا يتجرأ وأخلاق الفرد نحو الجماعة ترتكز على أمرين اثنين :

أولهما : بذل الفرد وعطاؤه وتضحيته في سبيل الجماعة والقيام بكل ما يستطيعه من خير وفائدة نحو المجتمع .

---

(١) أحمد في مسنده ٣/١ ، ٦/ ٦٨ ، ١٥٥ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه:كتاب صلاة المسافرين / باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ١/ ٥٣٤ برقم ٢٠١/ ٧٧١ جزء حديث ، والترمذي في سننه : كتاب الدعوات / باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح صلاة الليل ٥/ ٤٥٤ ، ٤٥٥ برقم ٣٤٢٣ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وهو جزء حديث .

ثانيهما : إمساكه عن الظلم والاعتداء قولاً وفعلاً وعلى هذين الأمرين تقوم الأخوة الإسلامية التي تبنى صفًا واحدًا كالبنيان المرصوص يتنازل الواحد فيه لأخيه عن ماله ومتاعه ، بل ويعرض أحدهم تطليق زوجته ليتزوجها ــ كما حدث هذا أثناء الهجرة إلى المدينة ــ إن هذه الأخوة تستبعد فكرة المنافع في التعامل وترسي قاعدة الإنسانية وتكريم بني آدم .

والناظر في القرآن والسنة النبوية يجد أن جلَّ النصوص الواردة إن لم نقل كلها أخلاق جماعة تهذب الفرد في إطار المجموع وهذا الأساس يقيم شبكة العلاقات الاجتماعية المتماسكة التي أنشأت من جماعة متفرقة أعظم جماعة عرفها التاريخ الإنساني وذلك في المجتمع الإسلامي الأول مجتمع المهاجرين والأنصار ، وبنت هذه الجماعة حضارة خالدة باقية بعد أن انطلقت من أرض قاحلة جرداء [1] .

ولذا نجد المسلمون يحرصون على العمل بمقتضاها مهما كان الثمن باهظًا لقد أوقف المشركون جماعة من المسلمين المستخفين في إسلامهم كانوا ذاهبين إلى المدينة أثناء حصار المشركين للمدينة في موقعة الخندق ولم يسمحوا لهم بالمرور إلا بعد ما أخذوا عليهم العهود والمواثيق بأن لا يحاربوهم مع المسلمين . فلما أخبروا الرسول ﷺ فيما رواه حذيفة مرفوعاً قال : " **نفي لهم بعهدهم ونستعين بالله عليهم** " [2] ، ولم يأذن لهم بالمقاتلة وعندما أخرج الذين كفروا رسول الله من مكة لم سمح لنفسه بالاستيلاء على أمانات الكفار بل أمر عليًا بردها إلى أهلها ــ والقصة معروفة مشهورة .

ولقد تحدثت بأخبار المسلمين الركبان في المشارق والمغارب .

ولقد كانت هذه الأخلاق من أعظم ما حبب الكفار بدين الإسلام فدخلت الأمم

---

(١) يراجع مكارم الأخلاق للطبراني تحقيق د/ فاروق حمادة صـ ١٦ : ١٨ بتصرف .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك : كتاب معرفة الصحابة / باب ذكر مناقب حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ٣/ ٣٧٩ وسكت عنه وكذلك الذهبي .

المغلوبة فـــي دين الله أفواجًا لما رأوا من عدل المسلمين وصدقهم ووفاءهم بالعهود ، وما كـــان للمسلمين إلا أن يكونوا كذلك والإسلام يأمرهم بـــذلك قـــال تعـــالى : ﴿**وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً** ﴾ (الإسراء : ٣٤) ، ﴿ **إِنَّ اللّهَ يَـــأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا** ﴾ (النساء : ٥٨) ، ﴿ **وَالَّذِينَ هُـــمْ لأَمَانَـــاتِهِمْ وَعَهْـــدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾ (المؤمنون : ٨) [١] .

(١) راجع نحو ثقافة إسلامية أصلية . د/ عمر سليمان الأشقر ، مكارم الأخلاق للطبراني صـــ١٨ .

المطلب الثالث : حاجة الإنسان إلى الأخلاق

لو تأملنا منهج الأخلاق في الإسلام نجد أنه محكوم بالقيم التي تمكن المسلم من إحسان التعامل في المجالات الواجب عليه التعامل معها وهي ثلاث :

المحور الأول : التعامل :

١ ــ التعامل مع الله : بسلامة العقيدة وصحة العبادة واستقامة الخلق .

٢ ــ التعامل مع النفس بموضوعية وصدق وإلزامها بمنهج الله .

٣ ــ التعامل مع الناس تعاملاً يقوم على إعطاء كل ذي حق حقه .

وأداء كل واجب أوجبه الشرع أو العقل الصحيح المهتدى بالشرع فيحقق في هذه المجالات : رضي الله ، رضى النفس ، ورضى الناس وما يصل الإنسان إلى هذا الرضى إلا بالتمسك بالأخلاق التي جاء بها الإسلام [١] .

فالمسلم مطالب بالإحسان إلى المجالات الثلاثة وعند النظر إلى مجال الثاني وهو التعامل مع النفس بموضوعية تحتاج إلى وقفة تأمل نظرًا لطبيعة الإنسان ففي طبيعته مزيج من الخير والشر ففيه الروح بسُمُوّها وعُلُوْها ، والجسد بغرائزه وأهوائه وكل من الروح والجسد ينزع إلى ألأصل الذي نشأ منه فينجذب إليه ،فإن تغلب جانب الخير فيه سَمَتْ به روحه إلى السماء ، وكان في صلته بربه وطاعته له أرفع منزلة من الملائكة ، وإن ترجح جانب الشر عنده هبط به جسده إلى الأرض وأصبح في انحداره إليها والتصاقه بها أسوأ حالاً من الشياطين [٢] .

وبالتأمل في مفهوم الأخلاق نجد أن الحاسة الخلقية انبعاث داخلي فطري وأن القانون الأخلاقي قد طبع في النفس الإنسانية منذ نشأتها قال تعالى : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ (الشمس : ٧ ، ٨) والواقع أن الإنسان العادي

---

(١) التربية الخلقية د/ علي عبد الحليم صـ١٠ .

(٢) توجيهات من السنة د/ محمد رشاد خليفة صـ١٧٠ .

يستطيع أن يميز إلى حد ما في كل ما يقوم به من أنواع السلوك ، بين ما هو خير ، وما هو شر وبين ما هو محايد لا ينفع ولا يضر ، وذلك مثلما يميز في عالم المحسوس بين الجميل والقبيح .

غير أن هذا القانون الأخلاقي المطبوع في النفس ناقص غير كافٍ ليس فقط لأن العادة ، والوراثة ، وأثر البيئة ، والمصالح المباشرة تفسد نوازعنا التلقائية ، وتلقي أنواعًا من الظلال على نور بصيرتنا الفطرية ، وليس فقط لأن شواغل الحياة في الدنيا تستوعب الجزء الأكبر من نشاطنا الواعي ، بل إن ممارسة الأخلاق في أحسن الظروف الملائمة تواجه صعوبة أخرى رئيسية .

وهي أن الضمير إذا اقتصر على مصادره الفطرية وحدها وجد نفسه عاجزًا في غالب الأحيان عن أن يقدم في جميع الظروف قاعدة ذات طابع عام ، تستأثر باعتراف الجميع ، فإذا تجاوزنا حدًا معينًا نجد أن اليقين الأخلاقي قد ترك مكانه للاحتمالات والتردد والمتاهات [1] .

فتجرد الإنسان للخير المحض لا يتم إلاَّ للمعصوم ، وانفلاته من نوازع الشر ودوافعها إلى الأبد أمر غير ممكن ، ولكن الممكن هو أن يغالب إرادة الشر عنده فيغلبها ، وأن يصارعها فيصرعها ، ثم يكون بعد ذلك ما قدر له من خير يلازمه ما ظل حريصًا على الطاعة مجانبًا للمعصية [2] .

ولذا يمكن القول بأن الله كما وهب لنا ملكة اللغة والحواس الظاهرة فإنه وهبنا بصيرة أخلاقية قال تعالى : ﴿ **بَلِ الإنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ** ﴾ (القيامة : ١٤ ، ١٥) .

وأشار الرسول ﷺ إلى الحس الأخلاقي الموجود في قلب كل مسلم بالحديث الذي رواه رزين والأجري والحاكم ــ وقال صحيح على شرط مسلم ــ عن ابن مسعود

---

(١) مقدمة دستور الأخلاق في القرآن رقم (ى) .

(٢) توجيهات من السنة د/ محمد رشاد خليفة صـ ١٧٠ .

ورواه أحمد والترمذي والنسائي عن النواس بن سمعان ، أن رسول الله ﷺ قال : " **إِنَّ الله ضَرَبَ مَثَلاً صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَعَلَى جَنَبتي الصِّرَاطِ سوران ، فيهما أَبْوَابُ مُفَتَّحَة ، وَعَلَى الأَبْوَاب سُتور مُرخاة ، وعند رأس الصراط داع يقول : استقيموا على الصّراط ولا تُعوِّجوا ، وفوق ذلك داع يدعو كلما هم عبد أن يفتح شيئًا من تلك ألأبواب قال: ويحك لاَ تفتحه ، فإِنَّك إن تفتحه تَلِجْهُ** " [1] . ثم فسره فأخبر : " أن الصراط الإسلام ، وأن ألأبواب المفتحة محارم الله ، وأن الستور المرخاه حدود الله ، وأن الداعي على رأس الصراط هو القرآن ، وأن الداعي من فوقه واعظ الله في قلب كل مؤمن :

فهذا الوعظ الذي من قلب كل مؤمن هو الحس الأخلاقي . [2]

ولقد هدى الله الإنسان إلى طريق الفضيلة والرذيلة قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾ (سورة البلد : ٨ ــ ١٠) حقًا ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾ (يوسف : ٥٣) ، ولكن الإنسان قادر على أن يحكم أهواءه ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى** ﴾ (النازعات : ٤٠) .

وإذا لم يكن كل الناس يمارسون هذا التأثير على أنفسهم فإن فهيم من يفعله بتوفيق الله له ، وهو ما قرره رسول الله ﷺ في قوله " **إذا أراد بعبدًا خير جعل له واعظًا من نفسه يأمره وينهاه** " [3] .

---

(١) رواه الترمذي في سننه : كتاب الأمثال / باب ما جاء في مثل الله العبادة ٥/ ١٣٣ برقم ٢٨٥٩ وقال : هذا حديث غريب ، وأحمد في مسنده ٤/ ١٨٢ ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٨٨٧ ، والحاكم في المستدرك ٧٣/١ .

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها صـ٧٨ . د . عبد الرحمن حسن حنبكه .

(٣) أورده الغزالي في إتحاف السادة المتقين ٧ / ٢٢٨ ، ٩ / ٦١٣ ، وقال : قال العراقي . رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة وإسناده جيد ، وقال : قلت رواه ابن بلال في مكارم الأخلاق ومن طريقة أورده الديلمي ، ولم أستطع الوقوف عليه عند الديلمى .

ففي الإنسان إذن قوة باطنة ، لا تقتصر على نصحه وهدايته فحسب ، بل إنها توجه إليه بالمعنى الصريح أوامر بأن بفعل أولاً يفعل .

فماذا تكون تلك السلطة الخاصة التي تدعي السيطرة على قدراتنا الدنيا ، إن لم تكن ذلك الجانب الوضئ من النفس ، والذي هو العقل ، ولذا نجد القرآن الكريم لا ينظر إلى الطبيعة البشرية على أنها شريرة في أصلها ولا على أنها فاسدة فسادًا عضالاً بل على العكس من ذلك قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ (التين : ٣) . بل ولا يزال يوقظ الشعور بكرامة الإنسان الأصلية بل يؤصلها . قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ (الإسراء: ٧٠) .

المحور الثاني : موقف الإنسان من الفضائل والرذائل :

نجد أن الإنسان مطالب بأن يتحلى بالفضائل ويتخلى عن الرذائل وأن يحسن التعامل مع الناس جميعًا مسلمين وغير مسلمين . قال تعالى : ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ** ﴾ (هود : ١١٢ ، ١١٣) .

وكلمة "فاستقم كما أمرت" يعني التحلي بالفضائل التي أمر الإسلام بها والتخلي عن الرذائل التي نهى عنها [١] .

والإنسان مطالب بأن يسدد عمله ويقاربه ، ولن يستطيع أن يبلغ درجة الكمال ولكنه إذا عاش وهو محسن فعلية أن يزداد خيرا وإن كان من المسيئين فلعله بالعيش في الحياة يقلع عن الإساءة والمعاصي عملاً بقوله ﷺ فيما رواه الشيخان

---

(١) التربية الخلقية د/ علي عبد الحليم صـ ١٣٤ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنّةَ قالوا : ولاَ أَنْتَ يَارَسُولَ الله ؟ قَالَ لاَ ، ولاَ أَنَا إِلاَ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بفَضْل ورَحمه ، فَسَدِّدُوا وقَارِبُوا ، ولاَ يَتَمَنَيِّنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوتْ ، إِمَا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أن يَزْدَادَ خَيْرًا ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ** " (١) .

والإنسان قد يخطئ بل هو خطاء ولكنه يستطيع أن يمحو هذا الخطأ بالتوبة النصوح . كما روي عنه أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " **كُلُّ ابنِ آدَمَ خَطَّاءُ وخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ** " (٢) .

يتضح مما سبق أن الإسلام يعترف بالواقع الإنساني ويقدره ويعمل على ترشيد سلوكه في الحياة لتصح له دنياه ، وتصح له أخرته ولذلك أرسل إلينا الرسل مبشرين ومنذرين وصدق رسوله ﷺ حينما قال : "**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**"(٣) إشعار بأن الأديان السابقة تشتمل على مجموعة من مكارم الأخلاق والهدف السامي من بعثته ﷺ هو إتمام هذه المكارم ومن هنا يتبين لنا حاجة الإنسان إلى قانون الأخلاق الرباني والعليم بخلقه وصدق الله إذ يقول : ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ .

ولا يفوتنا في هذا المقام أن ننوه بعظمة المصطفى ﷺ ومدى رحمته بأمته عندما بيَّن لنا حاجة الإنسان إلى الأخلاق بل إلى مكارمها لتكون زخرًا له في الآخرة فيما رواه أبو هريرة عن النبى ﷺ قال : " **كُلَّ سُلاَمَي مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ : تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيَنِ صَدَقَةٌ ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ**

---

(١) البخاري في صحيحه : كتاب المرضي / باب تمني المريض الموت ٣/ ١٢٩٧ رقم ٥٦٧٣ ، ومسلم في صحيحه : كتاب صفات المنافقين / باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ٤/٢١٦٩ برقم ٢٨١٦ .

(٢) الترمذي في سننه :كتاب صفة القيامة / باب رقم ٤٨ برقم ٢٤٩٩ : ٤/ ٥٦٨ : ٥٦٩ قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث على بن مسعدة عن قتادة ، وابن ماجه في سننه: كتاب الزهد / باب ذكر التوبة ٢/ ١٤٢٠ برقم ٤٢٥١ .

(٣) تقدم تخريجه .

عَلَيْهَا ــ أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ ــ صَدَقَةُ وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَــةُ ، وَكَــلُّ خُطْــوَةٍ يَخْطُوها إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةَ ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةُ " (١) .

المحور الثالث : دور الإنسان في المجتمع :

الإنسان جزء من المجتمع الذي يعيش فيه ، فليس له أن يعتزل هــذا المجتمــع ويبتعد عن الناس إلا لضرورة تلجئ إلى ذلك الاعتزال من فتنة ونحوها .

ومعنى هذا إن الاختلاط بالناس مطلب شرعي دعا إليه الإسلام ويشجع عليــه ، وأثاب عليه ، وإنما كان الاختلاط بالناس على هذا القدر من المنزلة لما يحققه مــن فوائد دنيوية وآخروية للفرد والمجتمع على السواء .

ومن هذه الفوائد للاختلاط بالناس :

١ ــ توصيل دعوة الله إلى عباده فالإسلام دين دعوة ، ولا يمكن أن تتم الدعوة إلا بالاختلاط بالناس والصبر على آذاهم .

٢ ــ التعاون مع الناس على البر والتقوى وهو أمر من الله تعالى للمؤمنين ولا يتم هذا التعاون إلا بالاختلاط بالناس .

٣ ــ إن الإســلام ديــن تربيــة مستمرة تصاحب الإنسان حتى يلقي الله ، والتربية تعلم وتعليم ولا يكــون هــذا أو ذاك إلا بمخالطــة النــاس والــتعلم مــنهم أو تعليمهم.

٤ ــ إن ديــن الإسلام ديــن يدعــوا أتباعــه إلى أن يمكنوا لدين الله في الأرض وأن يتحاكموا إليــه فيما بينهم ، حتى لا يعبــد غير الله ويكون الدين كله لله ، ولا يتصور أن يتــم التمكين لديــن الله إلا مع الاختلاط بالناس وتوجيههم إلى ذلك .

وقد جاء في السنة النبوية عن الاختلاط بالناس ما رواه ابن عمــر رضــي الله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الجهاد والسير / باب من أخذ بالرِّكَــابِ ونحــوه ٢/٦٨٣ رقــم ٢٩٨٩ ، ومسلم في صحيحه : كتاب الزكاة / باب بيان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٢/ ٦٩٩ برقم ١٠٠٩ .

عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " **المسلم الذي يخالط الماس ويصبر على آذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على آذاهم** " (١) .

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **حُوسِبَ رَجُلٌ مِّمِنَ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدُ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شيء إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاس ، وَكَانَ مُوسَرًا فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانُه أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ المُعَسِرِ ، فقال الله عز وجل : نَحنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ** " (٢) .

فهذا الاختلاط بحاجة إلى مجموعة من القيم الإسلامية والفضائل نابعة من الكتاب والسنة بحيث إذا تحلى بها المسلم نصل منها إلى الفوائد المرجوة من الاختلاط (٣) .

---

(١) الترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة / باب ٤/ ٥٧٢ برقم ٢٥٠٧ وسكت عنه الترمذي اللفظ له ، وابن ماجه في سننه : كتاب الفتن / باب الصبر على البلاء برقم ٣٠٤٢ ، أحمد في مسنده ٢/ ٣، ٥ .

(٢) مسلم في صحيحه : كتاب المساقاة / باب فضل إنظار المعسر : ٣/ ١١٩٥ : ١١٩٦ برقم ١٥٦١ .

(٣) التربية الخلقية د/ على عبد الحليم صـ ١١١ : ١١٢ بتصرف .

المطلب الرابع : الأخلاق منحة من اللَّه

إن لكل حضارة فكرة وكل فكرة روحًا ، هذه الروح هي التي تحدد اتجاه الحضارة وتصنع أسبقيات القيم وترسم الآفاق وهي تسري في كل جزئية من جزئيات الحضارة ومعطياتها المادية والمعنوية فبعض الحضارات تهيمن عليها روح القوة والبعض روح الجمال ، وبعض الحضارات يسري في كيانها روح الأخلاق فتجد كل شيء فيها تحكمه الضوابط الأخلاقية .

وهذه الروح هي التي أرادها الله عز وجل أن تكون عماد الحضارة الإسلامية لأنها صمام أمان لبقاء الحضارة وامتدادها وعامل الاطمئنان عند الفرد في إطار هذه الحضارة [1] .

ولذا يمكن القول بأن الأخلاق الإسلامية جاءت مبادئها وقيمها من عند الله تبارك وتعالى ، فقد أوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ قرآنًا كريمًا تضمن معظم هذه القيم ، وترك التفصيل لسنة نبيه ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى . ولذا كانت ملائمة للإنسان في حياة الدنيا والآخرة ، وكانت بهذه الملائمة أكثر قدرة على تحقيق آمال الإنسان المشروعة .

فالآداب والأخلاق الإسلامية آداب ربانية بمعنى أن الوحي الإلهي هو الذي وضع أصولها ، وحدد أساسياتها التي لابد منها لبيان معالم الشخصية الإسلامية حتى تبدو متكاملة متماسكة متميزة في مخبرها ومظهرها عالمة بوجهتها وطريقها ، إذا التبست على غيرها المسالك واختلطت الدروب .

فهي أخلاق تعترف بأن الإنسان يعيش حياة فيها الخير والشر ، وفيها الحق والباطل ، وفيها العدل والظلم ، وفيها السلم والحرب فتضع للإنسان قيمًا ومبادئ يستطيع بها أن يعيش تلك الحياة المليئة بالتناقضات ، قادرة على أن تحقق مصلحته

---

(١) مكارم الأخلاق للطبراني صـ ١٠ : ١٢ بتصرف .

الدنيوية والآخروية ، وقادر على أن يتعامل مع الأخيار والأشرار .

والنظرة العامة للإنسان كما هو واضح في النصوص الإسلامية إن الإنسان إنسان بكل ما أودع الله في فطرته من نزعات وعواطف وميول واتجاهات ، فهو على القطع ليس بملاك أو معصوم من الخطأ ، وليس بشيطان أو ممن تستحيل عليه الطاعة قال الله تعالى : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ (الشمس : ٧ : ١٠) .

إذن الإسلام يعترف بالواقع الإنساني ويقدره ويعمل على ترشيد سلوك الإنسان في الحياة لتصح له دنياه وتصلح له آخرة [١] . فلا عجب أن وجدنا القرآن الكريم ذاته يعني برسم المعالم الرئيسية لآداب المسلم من الإحسان بالوالدين وخاصة إذا بلغا الكبر أو أحدهما والإحسان بذوي القربى ، ورعاية اليتيم ، وإكرام الجار وذي القربى ، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، والخدم ، العناية بالفقراء والمساكين وتحرير الرقاب والصدق في القول والإخلاص في العمل ، وغض الإبصار ، وحفظ الفرج والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر ، والتواصي بالرحمة والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأداء الأمانات إلى أهلها ، والحكم بين الناس بالعدل والوفاء بالعهد ، وترك المنكرات ، واجتناب الموبقات من الشرك والسحر والقتل والزنا والسكر والربا ... إلى غير ذلك من الأخلاق الإيجابية والسلبية والفردية والاجتماعية .

حتى إننا نجد القرآن الكريم يُعَلِّم المسلمين آداب المشي إذ مشوا قال تعالى : ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ** ﴾ (لقمان : ١٩) ، ﴿ **الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا** ﴾ (الفرقان : ٦٣) ، وقال تعالى : ﴿ **وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً** ﴾ (الإسراء : ٣٧) .

---

(١) الخصائص العامة للإسلام . د . يوسف القرضاوى صـ٣٩ .

وآداب التزاور إذا تزاوروا : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ (النور : ٢٧ ، ٢٨) .

وآداب الجلوس إذا تجالسوا : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ (المجادلة :١١) .

فضلاً عما زخرت به السنة من آداب تتعلق بالأكل والشرب ، واللباس والتجمل ، والنوم واليقظة ، والدخول والخروج ، والسفر والعودة ، والتحية والاستئذان ، حتى العطاس والتثاؤب ، وقضاء الحاجة أو قضاء الشهوة .

فنجد أخلاق الإسلام لا تعتمد على مجرد الأمر الصارم والتكليف التعبدي ، بل تعتمد على مخاطبة العقول ، واستشارة الضمائر فهي أخلاق مفهومة معللة بالحكم والمصالح المترتبة عليها في الدنيا والآخرة مثل قوله تعالى في وصية لقمان لابنه : ﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ﴾ [1] (لقمان : ١٧ ، ١٨)

وبحكم جبلة الإنسان وميلة إلى المحسوس وتعلقة به قبل المفهوم والمعقول كانت أخلاق الإسلام عملية قبل أن تكون نظرية ليستوي في التخلق بها والتشبث بمضمونها كل الناس العالم والجاهل ، والرجل والمرأة ، ولينشأ المجتمع المهذب المتجانس المتكامل وجاء التأكيد على العمل في القرآن والسنة بعيدًا عن أوهام الألقاب الفارغة أو الدعاوى الجوفاء ، والمظاهر الخادعة ، أنه العمل الصالح ثمرة

---

(١) راجع الخصائص العامة للإسلام الشيخ القرضاوي صـ ٣٨ : ٤٠ بتصرف .

الأخلاق المكنونة الفاضلة وعنوان التعاليم العالية .

قال تعالى : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾ [1] (النور : ٥٥) .

ولهذا عظم الله تعالى أمر الأخلاق في القرآن الكريم وأكده رسوله ﷺ في حديثه الشريف وأولاه علماء الإسلام ومفكروه عبر العصور والحقب عناية أيما عناية ، وأكدوا عليه أيما تأكيد حتى أصبحت ترى أخلاق الإسلام مبثوثة في كل جوانب المعرفة الإسلامية وعلومها ومظاهر الحياة العامة ومعطياتها إلى جانب مؤلفات خاصة غير قليلة قائمة بنفسها مثل : مكارم الأخلاق للطبرانى ، ومكارم الأخلاق للخرائطى ، ودستور الأخلاق فى القرآن للدكتور : محمد عبد الله دراز ، ودور القيم والأخلاق فى الاقتصاد د . يوسف القرضاوى .

ولذا يمكن القول بأن تعميم مفاهيم الأخلاق الإسلامية ومكارمها ، وإشاعتها بين الناس ونشرها قولاً وعملاً فريضة قرآنية تعقب الخير الكثير والنفع العاجل والآجل قال تعالى : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [2] (آل عمران : ١٠٤) .

فالأخلاق الإسلامية منحة السماء إلى الأرض ومهمتها في المجتمع ربط الأفراد بعضهم ببعض كما يشير القرآن كذلك بقوله : ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (الأنفال : ٦٣) .

والسنة النبوية مليئة بالأحاديث التي تنص على أن الأخلاق منحة من الله وهي كالآتي:

---

(١) مقدمة كتاب مكارم الأخلاق للطبراني صـ ٧ : ٨ بتصرف .

(٢) مقدمة كتاب مكارم الأخلاق للطبراني صـ ٧: ٨ بتصرف .

١ ــ الدليل على أن الأخلاق من الله إن الخلق العظيم للنبي ﷺ المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم** ﴾ (القلم : ٤) **هو على ما قالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ حينما سئلت عن أخلاق النبي ﷺ هو القرآن والقرآن منحة من الله فالأخلاق تكون منحة .**

٢ ــ روي أحمد بإسناده عن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم ، وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن يحب.. الحديث مطولاً** [١] .

٣ ــ ما رواه الطبراني في مكارم الأخلاق بإسناده عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : **يقول الله عز وجل " أنا خلقت العباد بعلمي فمن أردت به خيرًا منحته خلقًا حسنًا ، ومن أردت به شرًا منحته خلقًا سيئًا** " [٢] .

٤ ــ ما رواه النسائي بإسناده عن جابر بن عبد الله قال : **كان النبي ﷺ إذا استفتح الصلاة كبر ثم قال : إِنَّ صَلاَتِي ونُسكِيَ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وبِذَلِكَ أُمِرتُ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِين اللَّهُمَّ اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَعْمَالَ وَأَحْسَنِ الأَخْلاَقَ لاَ يَهْدِي لأَحْسَنَهَا إِلاَّ أَنْتَ وقِنِيَ سَيِّئَ الأَعْمَالِ وَسَيِّئَ الأَخْلاَقِ لاَ يَقِي سَيِّئَهَا إلا أَنْتَ** " [٣] .

٥ ــ ما رواه الدارقطني والطبراني بإسناده عن أبي أمامة ــ رضي الله عنه ــ قال : **ما كنت قريبًا من النبي ﷺ إلا سمعته يدعو بهذا الدعاء : " اللهم اهدني لصالح الأعمال والأخلاق فإنه لا يهدي لصالحها إلا أنت ولا يصرف سيئها إلا أنت** " [٤] .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٣٣/١ ، وصححه وأقره الذهبي ، أحمد في مسنده ٢٨٧/١ .

(٢) الطبراني في مكارم الأخلاق صـ ٤١ :٤٢ ح٧ .

(٣) النسائي في سننه : كتاب الافتتاح / باب نوع آخر من الدعاء بين التكبير والقراءة صـ ١٩٩ .

(٤) الدارقطني في سننه ١/ ٢٩٨ ، الطبراني في الكبير ٨/ ٣٠٠ ح ٧٩٨٢ .

٦ ــ ما رواه ابن أبي الدنيا [١] قال : حدثنى الحسن بن الصباح أنبأنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي المنهال قال : **مر رسول الله ﷺ على رجل له عكر [٢] من إبل وغنم وبقر فاستضافه فلم يُضِفْهُ ومر بامرأة لها شُوَيهاتُ فاستضافها فأضافته وذبحت له فقال رسول الله ﷺ : ألم تروا إلى فلان مررنا به وله عكر من إبل وغنم وبقر فاستضفناه فلم يُضِيفْنَا ومررنا بهذه ولها شويهات فاستضفناها فأضافتنا وذبحت لنا ، إنَّ هذه الأخلاق بِيَدِ الله عز وجل ، من شاءَ أَنْ يَمْنَحَهُ منها خُلقًا حسنًا فَعَلَ** " [٣] .

٧ ــ وعن ابن طاووس عن أبيه قال : **إن هذه الأخلاق منائح منحها الله عز وجل من يشاء من عباده فإذا أراد الله بعبده خيرًا منحه منها خلقًا صالحًا** [٤] .

والمثل البشري الأعلى في تطبيق هذه المنحة الربانية هم الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه إذ تتولاهم العناية الربانية وحدها بالتربية دون تدخل البشر ،فليس من

---

(١) ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق صـ ٣٧ رقم ٣١ .

(٢) عكر : العكَرة بالتحريك : من الإبل ما بين الخمسين إلى السبعين وقيل إلى المائة (النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢٨٢/٣) .

(٣) الحديث صحيح ورجاله ثقات .

رجال إسناد ابن أبي الدنيا أ ــ الحسن بن الصباح البزار البغدادى : روى عن ابن عيينة ، وثقه أحمد ، وقال أبو حاتم : صدوق ، وقال النسائى : صالح (تهذيب التهذيب ٢٩٠/٢ ، ميزان الأعتدال ١٨٧٠/٢٢/٢) .

ب ــ سفيان بن عيينة : أحد الثقات الأعلام ، وكان يدلس ، لكن المعهود منه أنه لا يدلس إلا عن ثقة ، قال أحمد بن حنبل : هو أثبت الناس فى عمرو بن دينار (ميزان الأعتدال ٣٣٢٧/٣٦٠/٢) .

جـ ــ عمرو بن دينار : المكى أبو محمد روى عن جماعة منهم أبى المنهال ، روى عنه قتادة والسفيانان ، قال النسائى : ثقة ثبت ، وقال أبو حاتم : ثقة (تهذيب التهذيب ٣٠/٨) .

د ــ أبو المنهال : عبد الرحمن بن مطعم البنانى : روى عن ابن عباس ، وعنه : عمرو بن دينار وجماعة ، وثقه ابن معين والدارقطنى وأبو حاتم (تهذيب التهذيب ٢٧٠/٦) .

(٤) ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق صـ ٣٧ رقم ٣١ .

قبيل العبثية أن يسق إبراهيم طريقة في البحث عن الحقيقة وحيدًا مخالفًا لأبيه وقومه حتى اهتدى إليها بفضل الله ورجع إلى قومه وأبيه محاجًا وهاديًا [١] .

قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاعِبِينَ ..** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ** ﴾ (الأنبياء: ٥١ : ٧٠) .

وكذلك محمد ﷺ لم يكن من قبيل المصادفة أن يولد يتيمًا كل كان ذلك تقدير العزيز العليم لتتولاه عناية الله والله يقول : ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائلا فَأَغْنَى** ﴾ (الضحى : ٦٨)

وكما جاء في الحديث [٢] : " **أدبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق** فقال تعالى : ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ (الأعراف : ١٩٩) وهذه الحقيقة يؤكدها القرآن الكريم دومًا ، فليست أخلاق الأنبياء وأفكارهم انعكاسًا أو صدى أو نتيجة تطور حدث في المجتمعات التي بعثوا فيها ، بل كانت أخلاقهم حدث جديدًا ومنهجًا طارقًا يدخل المجتمع من خارجه وبهذا كان القرآن الكريم يقرع أسماع المشركين من العرب وغيرهم [٣] بقوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾

---

(١) مقدمة كتاب مكارم الأخلاق للطبراني صـ ١٠ : ١٢ بتصرف .

(٢) أورده الألبانى فى السلسلة الضعيفة ١٠١/١ : ١٠٢ وقال : قال ابن تيمية فى "مجموعة الرسائل الكبرى ٣٣٦/٢" : معناه صحيح ولكن لا يعرف له إسناد ثابت ، وأورده العجلونى فى كشف الخفاء ٧٢/١ .

(٣) الطبراني في مكارم الأخلاق صـ ١٢ .

(الجمعة : ٢: ٤)

يقول ابن القيم [١] مبيناً هذه المنزلة : من منازل : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ (الفاتحة : ٥) منزلة الخلق وقال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (القلم : ٤) . قال ابن عباس ومجاهد : لعلي دين عظيم ، لا دين أحب إليَّ ولا أرضى عندي منه ، وهو دين الإسلام ، وقال الحسن ــ رضي الله عنه ــ هو آداب القرآن .

وفي الصحيحين : أن هشام بن حكيم سأل عائشة ــ رضي الله عنها ــ عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : **كان خلقه القرآن فقال : لقد هممت أن أقوم ولا أسأل شيئًا** " [٢] .

وقد جمع الله له مكارم الأخلاق في قوله تعالى : ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ (الأعراف : ١٩٩) .

قال جعفر بن محمد : **أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية وقد ذكر : أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لجبريل ما هذا ؟ قال : لا أدري حتى أسأل فسأل ثم رجع إليه فقال : إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك** " [٣] .

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٩٠ : ٢٩٤ بتصرف .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب صلاة المسافرين / باب جامع صلاة الليل ٥١٢/١ : ٥١٣ رقم ١٣٩ /٧٤٦ والحديث مطولا ، وأحمد في مسنده ٥٤/٦ ، ٩١ ، ١٦٣ .

(٣) رواه بمعناه عن عقبة بن عامر رفعه أحمد في مسنده ٤/ ١٥٨ ، وإتحاف السادة المتقين ٣١٨/٧ ، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٨٨/٨ وقال : رواه أحمد والطبرانى وأحد إسنادى أحمد رجاله ثقات .

المبحث الثاني

العقيدة والأخلاق

ويشتمل على توطئة وعدة مطالب :

توطئة : ربط العقيدة بالأخلاق .

المطلب الأول : حرية العقيدة أصل الإيمان .

المطلب الثاني : ربط الإيمان بحب الخير للمسلمين .

المطلب الثالث : الحياء من الإيمان .

المطلب الرابع : الأمانة من الإيمان .

المطلب الخامس : الصبر مقام إيمان .

توطئة : ربط العقيدة بالأخلاق

ربط الإسلام بين جانب العقيدة منه ، وبين الأخلاق التي ارتضاها لأتباعه ربطًا وثيقًا ، وذلك يبدو واضحًا من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فإن مقتضى الإيمان بالله تعالى أن يكون المؤمن ذا خلق محمود ، وإن ألأخلاق السيئة دليل على عدم وجود الإيمان ، أو دليل على ضعفه ، وعلى ذلك يمكننا أن نعرف مدى إيمان الشخص بمقدار ما يتحلى به من مكارم الأخلاق ، ونعرف مدى ضعف إيمانه بمقدار ما يتصف به من ذميم الأخلاق [١] .

فعندما يطالب الآن أتباعه بالعدل ، يذكر قبل الطلب وصف الإيمان للإشارة إلى أن الإيمان يقتضي العدل فيقول : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ (المائدة : ٨) .

وعندما يأمر الإسلام بالصدق يقول الله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ (التوبة : ١١٩) .

إن مقتضى الإيمان بالله أن يكون المؤمن كريمًا جوادًا سمحًا حسن الجوار يعرف حقوق جاره عليه ، فيؤديها ، ولا يفعل ما يؤذيه أو يضره ، ويعلم الواجب عليه نحو ضيفه فلا يفرط فيه ، ويقول عليه الصلاة والسلام : " **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ** "[٢].

وإن مقتضى الإيمان أن يكون المؤمن حييًا : فقد مر رسول الله ﷺ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال رسول الله ﷺ: "**دَعْهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانْ**"[٣].

---

(١) أخلاقنا : د/ محمد ربيع الجوهري صـ ٥١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الأدب / باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ٣/ ١٣٥٨ برقم ٦٠١٨ .

(٣) البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان / باب الحياء من الإيمان ١/ ١٧ برقم ٢٤ ، وأبو داود في سننه : كتاب السنة / باب في الحياء ٥/ ١٤٧ .

وإن مقتضى الإيمان أن يكون المسلم صابرًا محتسبًا ، راضيًا بما قدر الله له، فقد روى ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : " **لَيسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ ، وشَقَّ الْجُيوبَ ، ودَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ** " (١) .

فإذا وقر الإيمان في القلب ، تقبل المؤمن كل ما تأتي به الأيام بصبر جميل ، لأنه يعلم أن أمره كله خير ، عن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : " **عَجَبًا لأَمْرِ المؤْمِنِ ! إِنَّ أَمْرَهَ كُلَّهُ خَيرُ ، ولَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ** " (٢) .

فالمسلم دائمًا يسعى إلى مكارم الأخلاق يتحلى بها ، وإلى محاسن السجايا يتصف بها ، حتى يكتمل إيمانه ، ويثقل ميزان حسناته يوم القيامة ، فيدخل جنة ربه ، ويؤكد ذلك ما رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " **أَكْمَلُ المَؤمِنينَ إِيمَانًا أَحسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَخِيارُكُمْ خِيارُكُمْ لِنِسَائِهم خُلُقًا** " (٣) .

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك فحرصوا عليه ، عن أم الدرداء قالت : **قام أبو الدرداء ليلة يصلي . فجعل يبكي ، ويقول اللهم أحسنت خلقي ، فحسن خُلقي، حتى أصبح ، فقلت يا أبا الدرداء ، ما كان دعاؤك منذ الليلة إلا في حُسن الخُلق، فقال : يا أم الدرداء إن العبد المسلم يحسن خلقة حتى يدخله حُسن خلقه الجنة، وليسئ ، حتى يدخله سوء خلقه النار، والعبد المسلم يغفر له وهو نائم . فقلت: يا أبا الدرداء كيف يغفر له وهو نائم ؟ قال: يقوم أخوه من الليل فيتهجد،**

---

(١) البخاري في صحيحه : كتاب الجنائز / باب ليس منا من شق الجيوب ١/ ٢٩٢ برقم ١٢٩٤ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الزهد والرقائق / باب المؤمن أمره كله خير ٤/٢٢٩٥ برقم ٢٩٩٩ .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب الرضاع / باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ٣/٤٦٦ برقم ١١٦٢ وقال: حديث حسن صحيح ، وأبو داود في سننه / كتاب السنة / باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ٤/ ٢١٩ برقم٤٦٨٢ .

فيدعو الله عز وجل فيستجيب له ، ويدعو لأخيه ، فيستجيب له فيه " [1] .

والحديث التالي يؤكد أن الشريعة تريد إثبات أن الأخلاق الفاضلة دليل على إيمان من يتخلق بها .

عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ــ قال : " **دَخَلَ رسولُ اللهِ ﷺ عَلى الأنصار، فقال: أَمُؤمِنُونَ أَنْتُمْ ؟ فَسَكَتُوا، فَقَالَ عُمر رضي الله عنه: نعم يا رسول الله قَالَ : وما علامة إيمانكم؟ قالوا : نشكر على الرخاء ، ونصبر على البلاء ، ونرضى بالقضاء . فقال عليه الصلاة والسلام : مؤمنون ورب الكعبة** " [2] .

وهكذا اعتبر الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الأخلاق الكريمة من شكر على النعمة ، وصبر على البلوى ، ورضا بما قضى الله وقدر أمارات وعلامات على وجود الإيمان بالله جل في علاه [3] .

بهذا البيان المختصر من القرآن والسنة المطهرة يتضح لنا ارتباط الأخلاق بالعقيدة وستتضح الصورة كاملة بعد دراسة مستفيضة لبعض الأخلاق في الإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١/ ٣٨٧ ، ورواه أحمد في مسنده ١/ ٤٠٣ ، عن ابن مسعود ، ورواه عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ ٦/ ٦٨ ، وأدرجه الهيثمي في المجمع ٢٠/٨ ، وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، والحديث مختصرًا .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١١/ ١٥٣ برقم ١١٣٣٦ ، وفي الأوسط ٩/ ١٦٣ برقم ٩٤٢٧ ، وقال : لم يرو هذين الحديثين عن عطاء إلا يوسف بن ميمون ، ولا عن يوسف إلا أبو يحيى الحماني ، تفرد بهما : الحسن بن حماد الوراق ، وفي مجمع البحرين ١/ ٩٥ برقم ٩٥ ، وأورده الهيثمي في المجمع ١/ ٥٤ وقال : وفي إسناده يوسف بن ميمون وثقه ابن حبان ، والأكثر على تضعيفه .

(٣) أخلاقنا د/ محمد ربيع الجوهري ٥١ : ٥٤ بتصرف .

المطلب الأول : حرية العقيدة أصل الإيمان

انطلاقًا من حرية العقيدة في الإسلام نجد أن الشارع الحكيم يوجه العقل بأن يضع أمامه الاختبارات ، ويطلق له حرية الاختيار وحرية الإرادة ، ليس في تبني خُلق معين فحسب ، ولكن في الإيمان والكفر عملاً بقوله تعالى : ﴿ **فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ** ﴾ (الكهف : ٢٩) ، وقوله : ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ (البقرة : ٢٥٦) وهذا أعلى صور مكارم الأخلاق في الشريعة الإسلامية [١] .

وانطلاقًا من حرية العقيدة في الإسلام ينشأ هذا الاحترام والتقديس لهذا المنهج الرباني باعتقاد المؤمن بكمال الله تعالى ، وتنزهه عن كل نقص من خلقه وأمره ، وأنه تعالى أحسن كل شيء خلقه وأتقن كل شيء صنعه كما قال تعالى في كتابه : ﴿ **صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ (النمل : ٨٨) .

وكذلك أحكم كل شيء شرعه ، وكل كتاب أنزله كما قال الله تعالى في حق القرآن الكريم : ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴾ (هود: ١) فهو الحكيم فيما أمر ونهي قال تعالى : ﴿ **مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ** ﴾ (الملك : ٣) ولا تجد في شرع الرحمن من تهافت ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

ويتبع هذا الاحترام والتقديس : الرضا بكل تعاليم هذا النظام وأحكامه وتقبله بقبول حسن ، مع انشراح الصدر ، وإقناع العقل ، وطمأنينة القلب ، فهذا من موجبات الإيمان بالله ورسوله مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ (النساء : ٦٥) .

---

(١) التربية الخُلقية د/ علي عبد الحليم ٢/ ١٣ ، خلق المسلم صـ١٧ بتصرف .

ويلزم هذا الاحترام والتقديس وحُسن القبول ، المسارعة إلى التنفيذ والسمع والطاعة في المنشط والمكره ، دون تكاسل أو تحايل على الهرب من تكاليف النظام والتزاماته ، والتقيد بأوامره ونواهيه .

ونكتفي هنا بضرب مثالين يبينين مواقف المسلمين والمسلمات في العهد النبوي من شرعه تعالى وأمره ونهيه .

أولهما : ما وقع بالمدينة عقب تحريم الخمر وقد كان للعرب ولع بشربها وأقداحها ومجالسها ، وقد عرف الله ذلك منهم فأخذهم بسنة التدرج في تحريمها ، حتى نزلت الآية الفاصلة تحرمها تحريمًا باتًا ، وتعلن أنها رجس من عمل الشيطان كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (المائدة : ٩٠) .

وبهذا حرّم النبي ﷺ شربها وبيعها ، وإهداءها لغير المسلمين ، فما كان من المسلمين حين ذاك إلا أن جاءوا بما عندهم من مخزون الخمر وأوعيتها ، فأراقوها في طرق المدينة إعلانًا عن براءتهم فيها ومن عجيب أمر الانقياد لشرع الله منهم حين بلغه هذه الآية كان منهم من في يده كأس قد شرب بعضها وبقي بعضها في يده ، فرمي بها من فيه وقال إجابة لقوله الله : ﴿**فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾ (المائدة : ٩١) : قد انتهينا يا رب .

ولو وازنا هذا النصر المبين في محاربة الخمر والقضاء عليها في البيئة الإسلامية ، بالإخفاق الذريع التي مُنيت به الولايات المتحدة الأمريكية حين أرادت يومًا أن تحارب الخمر بالقوانين والأساطيل لعرفنا أن البشر لا يصلحهم إلا تشريع السماء الذي يعتمد على الضمير والإيمان قبل الاعتماد على القوة والسلطان[1] .

---

(١) الخصائص العامة للإسلام للدكتور / يوسف القرضاوي صـ ٤٥ / ٤٧ بتصرف .

المثال الثاني : العقيدة القوية إذا امتزجت بالنفوس واطمأنت بها القلوب فلن يخدعها هوى أو رغبة ، ولن يقف في سبيلها أي عاطفة في هذا الوجود ، وقد حدث هذا في أول غزوة بين الحق والباطل "بدر الكبرى" فلا عجب إذا رأيت الابن المؤمن يغاضب أباه الملحد ويخاصمه في ذات الله والقتال الذي دار بـ "بدر" سجل صور من هذا النوع الجاد : كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ وكان ابنه عبد الرحمن يقاتله مع أبي جهل ، وكان عتبة بن ربيعة أول من بارز المسلمين ، وكان ولده أبو حذيفة من خيار أصحاب النبي ﷺ فلما سحبت جثة عتبة لترمى في القليب نظر رسول الله ﷺ إلى أبي حذيفة فإذا هو كئيب قد تغير لونه فقال له ﷺ : يا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء ؟ فقال : لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا في مصرعه ولكني كنت أعرف من أبي رأيًا وحلمًا وفضلاً ، فكنت أرجو الله أن يهديه ذلك إلى الإسلام ، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له ، أحزنني ذلك [1] .

---

(١) فقه السيرة للشيخ الغزالي صـ ٢٦٧ .

المطلب الثاني : ربط الإيمان بحب الخير للمسلمين

من أعلى صور الأخلاق الإسلامية أن ربط الإيمان بحب الخير للمسلمين عملاً بما رواه أنس عن النبى ﷺ قال : " **لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتّى يُحِبُ لأخيه مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه من الخير** " [1] ، وقال ﷺ : " **المُسْلِمُ أَخُو الْمسْلِمِ ، لا يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِه ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرب يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ، سَتَرُهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَة** " [2] .

ولم يكتف الإسلام بهذا الأمر بل جعل الاجتهاد في تحقيق النفع للمسلم في تحقيق النفع للمسلم تقرب إلى الله بل هو أزكى الطاعات وأجزلها مثوبة ويدلنا على ذلك ما كان من فقيه الإسلام **ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أنه كان معتكفًا في مسجد رسل الله ﷺ ، فأتاه رجل فسلم الله عليه ثم جلس ، فقال له ابن عباس : يا فلان أراك مكتئبًا حزينًا ، قال نعم يا ابن عم رسول الله : لفلان عليَّ حق ولاء ، وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه ! قال ابن عباس : أفلا أكلمه فيك ؟ قال : إن أحببت ، قال : فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد ، فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه ؟ قال : لا ، ولكني سمعت صاحب هذا القبر ــ والعهد به قريب ــ ودمعت عيناه ــ يقول : مَنْ مشىَ في حَاجَةِ أَخِيه ، وبلغَ فيها كان خيرًا له من اْعتِكَافِ عَشر سنينَ ، ومَنْ اْعتَكفَ يَوْمًا اِبْتَغَاءَ وَجْهِ اللهُ تَعالى جَعَلَ اللهُ**

---

(١) البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان / باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١٥/١ رقم ١٣ وبدون لفظه "من الخير" ومسلم في صحيحه : كتاب الإيمان / باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير ٦٧/١ برقم ٧١ ، والنسائي في سننه : كتاب الإيمان وشرائعه ، باب علامة الإيمان ١/ ٩٧٠ : ٩٧١ برقم ٥٠٣١ ، ٥٠٣٢ وذكر لفظ "من الخير ".

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الإكراه / باب يمين الرجل لصاحبه ٣/ ١٥٤٣ برقم ٦٩٥١ مختصرًا ، ومسلم في صحيحه : كتاب البر والصلة / باب تحريم الظلم ١٩٩٦/٤ برقم ٢٥٨٠ واللفظ له .

بَيْنَه وبينَ النَّار ثلاث خَنادقَ كُل خَنْدق أَبْعدُ مِمَا بينَ الخَافقين[1] .

هذا الحديث يصور إعزاز الإسلام لعلائق الإخاء الجميل وتقديره العالي لضروب الخدمات العامة التي يحتاج إليها المجتمع لإرساء أركانه وصيانة بنيانه .

لقد آثر ابن عباس أن يدع اعتكافه ، والاعتكاف عبادة محضة رفيعة الدرجة عند الله لأنها استغراق في الصلاة والصيام والذكر ، ثم هو في مسجد رسول الله حيث يضاعف الأجر ألف مرة فوق المساجد الأخرى ومع ذلك فإن فقه ابن عباس في الإسلام جعله يدع ذلك ليقدم خدمة إلى مسلم يطلب العون ، هكذا تعلم من رسول الله ﷺ [2].

وهذه من علائم الإخاء الصحيح ، إخاء العقيدة الخالصة لوجه الله وقد ضرب السابقون الأولون من ألأنصار والمهاجرين أروع الأمثلة بشهادة القرآن بقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (الحشر : ٩) [3].

والحكمة من الترابط بن الأخوة في الإسلام إن أعباء الدنيا جسام ،والمتاعب تنزل بالناس كما يهطل المطر فيعمر الخصب والجدب ، والإنسان وحده أضعف من أن يقف طويلاً تجاه هذه الشدائد ، ولئن وقف إنه لباذل من الجهد ما كان في غنى عنه

---

(١) الخافقين : شبه حفرة غامضة في الأرض ، واحدها أُخْفُوق ، وقالل ابن الأثير : هى شقوق فى الأرض كالأخاديد يقال خَقَّ فى الأرض وخَدَّ بمعنى والجمع الأخاقيق (النهاية لابن الأثير ٥٧/٢ ، لسان العرب لابن منظور ١٢١٩/٢) ،ورواه الطبراني في الأوسط ٢٢٠/٧ : ٢٢١ برقم ٧٣٢٦ وقال ــ لم يروه هذا الحديث عن عبد العزيز بن أبي روّاد إلا بشر بن مسلم البجلي ، تفرد به ابنه ، وفي مجمع البحرين ٢٢٠/٥: ٢٢١ برقم ٥٩٥٣ ، وأورده الهيثمي في المجمع ١٩٢/٨، وقال : إسناده جيد .

(٢) خلق المسلم للشيخ محمد الغزالى صـ١٧٥ .

(٣) المصدر السابق .

لو أن إخوانه هُرعوا لنجدته وظاهروه في إنجاح قصده ، وقد قيل : " المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه " .

ومن حق الأخوة أن يشعر المسلم بأن إخوانه ظهير له في السراء والضراء وأن قوته لا تتحرك في الحياة وحدها ، بل أن قوى المؤمنين تساندها وتشد أزرها[١] .

فعن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : " **المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**"[٢] .

ومن ثم كانت الأخوة الخالصة نعمة مضاعفة ، لا نعمة التجانس الروحي فحسب، بل نعمة التعاون المادي كذلك [٣] .

وقد كرر الله عز وجل ذكر هذه النعمة مرة ومرة في آية واحدة : ﴿ **وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا** ﴾ (آل عمران : ١٠٣) .

---

(١) خلق المسلم للشيخ محمد الغزالى صـ١٧٥ : ١٧٦ بتصرف .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الأدب / باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا ٣/١٣٦٠ برقم ٦٠٢٦ ، ومسلم في صحيحه : كتاب البر والصلة / باب ترحم المؤمنين ٤/١٩٩٩ برقم ٢٥٨٥/ ٦٥ .

(٣) المصدر السابق .

المطلب الثالث : الحياء من الإيمان

الحياء علامة الإيمان الصادق ، والإسلام الصحيح والدين الحق ففي الحديث عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : " **إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا ، وَخُلُقُ الإِسْلام الْحَيَاءُ**"(١) ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال ﷺ : " **الْحَيَاءِ وَالإِيَمانُ قُرِنَا جَمِيعًا فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخرة** " (٢) .

ولذا لا يجوز النظر في الإسلام إلى العبادات وإهمال جانب الأخلاق والفضائل؛ لأن الفضائل الأخلاقية من شعب الإيمان الحق وثمرة للعبادة الصحيحة وذلك كما روى أبو هريرة قال : قال ﷺ (٣) : " **الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ، والْحَيَاءُ شُعْبَةُ مِنَ الإِيمَانِ** " (٤) . فبين رسول الله ﷺ في الحديث أن الحياء بضعة وسبعون شعبة وخص الحياء ؛ لأنه خُلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع التقصير في حق ذي الحق وأنه الداعي إلى باقي الشعب : إذ الحي يخاف فضيحة الدنيا والآخرة فيأتمرون بزجره ولهذا جاء في الحديث عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : " **الْحَيَاءُ خَيْرُ كُلُّهُ** " (٥) .

وسر كون الحياء من الإيمان أن كلا منها داع إلى الخير صارف عن الشر مبعد عنه ، والحياء يمنع صاحبه من التقصير في الشكر للمنعم ، من التفريط في حق ذي الحق ، كما يمنع الحياء من فعل القبيح أو قوله اتقاء للذم والملامة ، ومن هنا

---

(١) ابن ماجه في سننه : كتاب الزهد / باب الحياء ٢/ ١٣٩٩ رقم ٤١٨١ ، موطأ مالك : كتاب حُسن الخُلق / باب ما جاء في الحياء / ٩٠٥ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب الإيمان/باب إذا زنى العبد خرج منه الإيمان ١/٠ ، وقال : صحيح على شرطها وأقره الذهبي ، والمنذرى في الترغيب ٣/ ٤٠٠ وعزاه للحاكم .

(٣) الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوي صـ ١١٣ : ١١٤ .

(٤) مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان/باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها ٦٣/١ رقم ٥٧ .

(٥) مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان / باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها ١/ ٦٤ برقم ٦١ .

كان الحياء خيرًا ولا يأتي إلا بالخير [١] . كما صح ذلك فيما رواه عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ في قوله : " **الحياء لا يأتي إلا بخير** " [٢] .

وكلما ربا الإيمان في القلب ربت معه السماحة وازداد الحلم ونفر المرء من طلب الهلاك والغضب للمخطئين في حقه فعن أبى هريرة قال : قيل لرسول الله ﷺ : " **ادعُ على المشركينَ قال : إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا ، وَإِنَّما بُعِثْتُ رَحمَةً** " [٣] .

وعلى قدر ما يضبط المسلم نفسه ويكظم غيظه ويملك قوله ، ويتجاوز عن الهفوات ، ويرثي العثرات تكون منزلته عند الله .

ومن ثم استنكر رسول الله ﷺ على أبي بكر أن يلعن بعض رفيقه فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " **لا يَنْبَغي لِصدّيق أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا** " [٤] .

وفي رواية عنه أيضًا : " **لا يَجتمعُ أَنْ تَكُونُوا لَعَّانِين صدِّيقِينَ** " [٥] .

فأعتق أبو بكر أولئك الرقيق كفارة عما بدر منه لهم وجاء إلى النبي ﷺ يقول له : لا أعود [٦] .

---

(١) منهاج المسلم أبو بكر الجزائري صـ ٢١٧ .

(٢) البخاري في صحيحه : كتاب الأدب / باب الحياء ٣/ ١٣٧٦ برقم ٦١١٧ ، ومسلم في صحيحه : كتاب الإيمان / باب بيان شعب الإيمان ١/ ٦٤ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه : كتاب البر والصلة / باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ٤/٢٠٠٦ ، ٢٠٠٧ برقم ٢٥٩٩ .

(٤) مسلم في صحيحه : كتاب البر والصلة / باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ٤/ ٢٠٠٥ برقم ٢٥٩٧ وأحمد في مسنده ٢/ ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٥) الحاكم في المستدرك : كتاب الإيمان ، ترجمة لا يجتمع أن تكونوا العانين صديقين ٤٧٢/١ ، وقال على شرط الشيخين وأقره الذهبي .

وأورده المنذري في الترغيب والترهيب : كتاب الأدب / باب الترهيب من السباب واللعن : ٤٦٩/٣ ، وقال رواه مسلم ، والحاكم وصححه .

(٦) خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي صـ ١١٧ ، ١١٩ بتصرف .

فالإيمان صلة كريمة بين العباد وربهم ، ومن حق هذه الصلة ، بل أثرها الأول تزكية النفوس ، وتقويم الأخلاق ، وتهذيب الأعمال ، ولن يتم ذلك إلا إذا تأسست في النفس عاطفة حية ، تترفع بها أبدًا عن الخطايا ، وتستشعر الغضاضة للأمور ، أما الإلمام بالمحاقر دون تورع ، والوقوع في الصغائر دون اكتراث ، فذلك دلالة فقدان النفس لحيائها ، ثم فقدانها لإيمانها .

وعلة ذلك أن المرء حينما يفقد حياءه يندرج من سيئ إلى أسوأ ويهبط من رذيلة إلى أرذل ولا يزال يهوى حتى ينحدر إلى الدرك الأسفل، وقد روي عن رسول الله ﷺ يكشف عن مراحل هذا السقوط، الذي يبدئ بضياع الحياء وينتهي بشر العواقب. فعن ابن عمر أن النبى ﷺ قال :" **إِنَّ الله عز وجل إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ عَبْدًا نَزَعَ مِنْهُ الحَيَاءَ ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الحَيَاءَ ، لَمْ تَلْقَهُ إِلاَّ مَقِيتًا مُمَقَّتًا ، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلاَّ مَقِيتًا مُمَقَّتًا نُزِعَتْ مِنْهُ الأَمَانَةُ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الأَمَانَةَ لَمْ تَلْقَهُ إلا خَائِنًا مَخوّنًا ، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلاَّ خَائِنًا مُخَوَّنًا" نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ لم تَلْقَهُ إِلاَّ رجيمًا مُلَّعنًا، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلا رَجِيمًا مُلَعَّنًا نُزِعَتْ مِنْهُ رِبَقُةُ الإِسْلاَمِ**" (١) .

وهذا ترتيب دقيق في وصف لأمراض النفوس وتتبعه لأطوارها ، وكيف تسلَّم كل مرحلة خبيثة إلى أخرى أشد نكراً ، فإن الرجل إلا مزق حجاب عن وجهه ، ولم يتهيب على عمله حسابًا ، ولم يخشى في سلوكه لومة لائم ، مَدَّ يَدَ الأذى للناس ، وطغى على كل من يقع في سلطانه ، ومثل هذا الشخص الشرس لن يجد قلبًا يعطف عليه بل إنه يغرس الضغائن في القلوب وينميها .

وأي حب لامرئ جرئ على اله وعلى الناس لا يرده عن الآثام حياء ، فإذا صار

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه : كتاب الفتن / باب ذهاب الأمانة ٢/ ١٣٤٧ برقم ٤٠٥٤ ، وقال : في الزوائد في إسناده سعيد بن شبان وهو ضعيف مختلف في اسمه . وأورده المنذر في الترغيب والترهيب ٣/٤٠٠ :٤٠١ برقم ١٤ ، وقال: رواه ابن ماجه ، وسعيد بن سنان ، البرجمي ، بضم الموحدة والجيم ينهما راء ساكنة ، أبو سنان ، الكوفي ، صدوق له أوهام ، من السادسة (التقريب : ١/ ٣٥٦) .

الشخص بهذه المثابة لم يؤتمن على شيء قط ، إذ كيف يؤتمن على أموال لا يخجل من أكلها أو على أعراض لا يستحي من فضحها، أو على موعد لا يهمه أن يخلفه، أو على واجب لا يبالي أني فرط فيه ، أو على بضاعة لا تتنزه عن الغش فيها .

فإذا فقد الشخص حياءه وفقد أمانته أصبح وحشًا كاسرًا ينطلق معربدًا وراء شهوته ويدرس في سبيلها أزكى العواطف ، فهو يغتال أموال الفقراء غير شاعر نحوهم برقة، وينظر إلا آلام المنكوبين والمستضعفين فلا يهتز فؤاده بشفقة، إن أثرته الجامحة وضعت على عينيه غشاوة ومظلمة، فهو لا يعرف إلا ما يفوته ويغريه بالمزيد [1] ، ويوم يبلغ امرؤ هذا الحضيض فقد أفلت من قيود الدين وانخلع من ربقة الإسلام .

وللحياء مواضع يستحب فيها . فالحياء في الكلام يتطلب من المسلم أن يطهر فمه من الفحش ، وأن ينزه لسانه عن العيب ، وأن يخجل من ذكر العورات ، فإنه من سوء الأدب أن تفلت الألفاظ البذيئة من المرء غير عابئ بمواقعها وآثارها فعن أبى بكرة قال : قال رسول الله ﷺ : " **الحَيَاءُ مِنَ الإيمَانِ ، وَالإيمَانَ فِي الْجَنَّةِ والْبذاء** [2] **مِنَ الجَفَاءُ ، والْجَفَاءُ فِي النَّار** " [3] .

ومن الحياء في الكلام أن يقتصد المسلم في تحدثه بالمجالس ، فإن بعض الناس لا يستحيون من امتلاك ناصية للحديث في المحافل الجامعة، فيملأون الأفئدة بالضجر من طول ما يتحدثون به ، وقد كره الإسلام هذا الصنف فقد روى عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : " **إِنَّ الله يَبْغَضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ ، الذي يَتَخَلَّلُ**

---

(١) خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي صـ ١٦٧ : ١٦٨ .

(٢) البذاء : الفحش في القول ، وفلان بذئُ اللسان ــ النهاية لابن الأثير ١/ ١١١ .

(٣) ابن ماجه في سننه : كتاب الزهد / باب الحياء ٢/ ١٤٠٠ برقم ٤١٨٤ ، والبخاري في الأدب المفرد ٢/ ٦٩٣ ، وفد الزوائد ٣/ ٢٨٩ برقم ١٤٨٦ .

بِلَسَانِه كَمَا تَتَخَلَّلُ البَقَرَة " (١) .

ومن الحياء أن يخجل الإنسان من أن يُؤثر عنه سوء ، وأن يحرص على بقاء سمعته نقية من الشوائب ، بعيدة عن الإشاعات السيئة .

فإن الغيبة إنما تحرم فيمن سترت حاله ، أما من كشف صفحته وأظهر سوءته فإن الناس لن يبلغوا امنه ما يبلغ من نفسه .

ومن الحياء أن يعرف الإنسان لأصحاب الحقوق منازلهم ، وأن يؤتي كل ذي فضل فضله ، فللغلام مع من يكبرونه ، وللتلميذ مع من يعلمونه مسلك يقوم على التأدب والتقدم .

والحياء في أسمى منازلة وأكرمها يكون من الله عز وجل ، فنحن نطعم من خيره ونتنفس من جوه ، وندرج على أرضه ، ونستنظل بسمائه ، والإنسان ما بإزاء النعمة الصغيرة من مثله يخزي أن يقدم إلى صاحبها إساءة ، فكيف لا يُؤجل الإنسان من الإساءة إلى ربهم ، الذي تغمرهم آلاؤه من المهد إلى اللحد ، وإلى ما عبد ذلك من خلود طويل ؟

إن حق الله على عباده عظيم ، ولو قدروه حق قدره لسارعوا إلى الخيرات يفعلونها من تلقاء أنفسهم ، ولباعدوا عن السيئات خجلاً من مقابلة الخير المحض، بالجحود والخسة .

فعن ابن مسعود . قال رسول الله ﷺ : " **استحيوا من الله حق الحياء ، قلنا : إنا نستحي من الله يا رسول الله ــ والحمد لله ــ قال : ليس ذلك ، الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعي ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت البلى**

---

(١) الترمذي في سننه : كتاب الأدب / باب ما جاء فى الفصاحة والبيان ١٣٠/٥ برقم ٢٨٥٣ وقال : هذا حديث حسن غريب ، وأبو داود فى سننه : كتاب الأدب / باب ما جاء فى المتشدق فى الكلام ٣٠٣/٤ برقم ٥٠٠٥ . وردت عند الترمذى بلفظ "بقرة" وعند أبى داود بلفظ "الباقرة" قال ابن الأثير: الباقورة بلغة اليمن البقر . النهاية فى غريب الحديث ١٤٥/١ .

، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، وآثر الآخرة على الأولى ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء " [1] .

والحياء بهذا الشمول هو الدين كله ، فإذا أطلق على طائفة من الأعمال الجميلة فهو جزء من الإيمان وأثر له كما قال رسول الله ﷺ [2] .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب صفة القيامة والرقائق / باب ٢٤ : ٤/ ٥٥ ، وقال: هذا حديث إنما تعرفه من هذا الوجه من حديث إبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد .في هامش المجمع : ١١٦/٨ ، قال: في الأصل الباقرة ولعل الصواب، الباقورة وهي البقرة بلغة اليمن .

(٢) خلق المسلم للشيخ الغزالي ١٦٧ : ١٧٢ بتصرف .

المطلب الرابع : الأمانة من الإيمان

معنى الأمانة :

– كل ما يجب على المسلم أن يحفظه ، ويصونه ويؤديه إنها شعور بمسئوليته عن كل ما يوكل إليه ، وبذله الجهد في تأديته على النحو الذي يرضاه الله جل في علاه ، ولله هذا بعض ما يفهم من حديث رسول الله ﷺ (١) .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ــ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّته ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّته ، وَالرَجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّته ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِها رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِها وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّته ، فَكُلُّكُمُ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه** " (٢) .

فالأمانة خلق يحمل صاحبه على أداء الحق لصاحبه في كل ما هو مسئول عنه ومحاسب على التقصير فيه كما في الحديث السابق فالتكاليف الشرعية من الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك من العبادات أمانة ، والنعم التي أنعم الله بها علينا من السمع والبصر والعقل والكلام وما إلى ذلك أمانة ، وعلاقة العبد بربه ومع المجتمع من حوله من أهل وزوج ووالد وولد أمانة ، قيادة الحاكم لرعيته ، وإذعان الرعية للحكام يتعين أن تدور كلها على الأمانة .

ــ ولعظم الأمانة في حياة المسلم، نجد أنها الفريضة التي يتواصى المسلمون برعايتها ويستعينون بالله على حفظها حتى إنه عندما يكون أحدهم على أهبة سفر، يقول له أخوه فيما رواه ابن عمر مرفوعًا: "**أَسْتَودِعُ الله دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ**

---

(١) أخلاقنا صـ ٢٤٣ د/ محمد ربيع الجوهري .

(٢) البخاري في صحيحه : كتاب العتق /باب العبد راع في مال سيده ٥٧٣/١ رقم ٢٥٥٨ .

عَمِلكَ" [1].

وقد ورد ذكر الأمانة في القرآن الكريم في مواطن عدة فيقول الله تعالى : ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا** ﴾(النساء : ٥٨) ، ويقول تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (الأنفال : ٢٧) .

وهذه الآية شاملة لجميع أنواع الأمانات فالأمانة خلق كريم أوجد الله اصله في الإنسان منذ نشأته وأكدت الرسالات السماوية على ضرورة تنميته في النفس البشرية وتنزلت كتب السماء داعية إلى ذلك [2] .

فالأمانة فضيلة ضخمة ، لا يستطيع حملها الرجال المهازيل وقد ضرب الله المثل لضخامتها ، فأبان أنها تثقل كاهل الوجود كله فلا ينبغي للإنسان أن يستهين بها ، أو يفرط في حقها قال تعالى : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا**﴾ (الأحزاب : ٧٢) .

والظلم والجهل آفتان عرضتا للفطرة الأولى ، وبُلِيَ الإنسان بجهادهما فلن يخلص له إيمان ، إلا إذا اتقاه من الظلم : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ** ﴾ (الأنعام : ٨٢).

ولن تخلص له تقوى إلا إذا نقاها من الجهالة : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾ (فاطر : ٢٨) .

ولذلك ــ بعد أن تقرأ الآية التي حَمَّلت الإنسان الأمانة ــ تجد أن الذين غلبهم

---

(١) رواه أحمد فى مسنده ٧/٢ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٨ ، والترمذى فى سننه : كتاب الدعوات / باب ما يقول إذا ودع إنساناً ٤٦٥/٥ برقم ٣٤٤٢ ، ٣٤٤٣ وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وابن ماجه فى سننه : كتاب الجهاد / باب تشييع الغزاة ووداعهم ٩٤٣/٢ برقم ٢٨٢٥ بمعناه .

(٢) توجيهات من السنة صـ ١٨ : ٢١ بتصرف د/ محمد رشاد خليفة .

الظلم والجهل ، خانوا ونافقوا وأشركوا ، فحق عليها العقاب ، ولم تكتب السلامة إلا لأهل الإيمان والأمانة .

والأمانة التي تريدها الشريعة هي الأمانة التي تدعوا إلى رعاية الحقوق ، وتعصم عن الدنايا، لا تكون بهذه المثابة إلا إذا استقرت في وجدان المرء، ورست في أعماقه ، وهيمنت على الداني والقاصي من مشاعره ، وذاك معنى حديث حذيفة بن اليمان ــ رضي الله عنه ــ عن رسول الله : " **أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جِذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ، ثُمَّ نَزَلَ القُرآنُ . فَعَلِمُوا مِنَ القُرآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**" (١) .

والعلم بالشريعة لا يغني عن العمل بها ، والأمانة ضمير حى إلى جانب الفهم الصحيح للقرآن والسنة ، فإذا مات الضمير انتزعت الأمانة ، فما يغني عن المرء تردد الآيات ، ولا دراسة للسنن، وأدعياء الإسلام يزعمون للناس ــ وقد يزعمون لأنفسهم ــ أنهم أمناء ولكن هيهات أن تستقر الأمانة في قلب تنكر للحق .

ومن ثم يستطرد حذيفة في وصفة ، لتسرب الأمانة من القلوب التي تخلخل فيها اليقين ، فيروي عن رسول الله ﷺ : " **ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ قَال : يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلُ الوَكْتِ** (٢) ــ **ثُمَّ يَنَامُ الرجل النَّوْمَةَ فَتُنقبض الأمانة مِنْ قَلْبِهِ ، فيظل أثرها مثل أثر المَجْلِ** (٣) ــ **ثم قال : " فيصبح الناس يتبايعون ، لا يكاد أحد يؤدي الأمانة ؛ حتى يقال : إن في بني فلان رجلاً أمينًا ، وحتى يقال للرجل : ما أجلده ما أظرفه ، ما أعقله . وما في قلبه**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان / باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب ١/ ١٢٦ : ١٢٧ برقم ٢٣٠ .

(٢) الوكت : الأثر فى الشىء كالنقطة من غير لَونِه وهى جمع وَكْتَة وهو الأثر المغاير (النهاية لابن الأثير ٥/٢١٨).

(٣) المجل : يقال : مَجَلَت يدُه تَمْجُل مَجْلاً ، ومَجِلَت تَمْجَلُ مَجَلاً : إذا ثَخُن جِلدُهُا وتَعَجَّر ، وظهر فيها ما يُشْبه البثُر (النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٤/٣٠٠) .

مِثْقَالُ حَبَّةٍ من خَرْدلٍ مِنْ إيمَانٍ " (١) .

والحديث يصور انتزاع الأمانة من القلوب الخائنة تصويرًا محرجًا فهي كذكريات الخير في النفوس الشريرة ، تمر بها وليست منها ، وقد تترك في مرها أثرًا لاذعًا ، بيد أنها لا تحس ضميرًا مات ، وأصبح صاحبة يزن الناس على أساس أثرته وشهوته ، غير مكترث بكفر أو إيمان (٢) .

صور الأمانة :

والأمانة في نظر الشارع واسعة الدلالة ، وهي ترمز إلى معان شتى ، مناطها جميعًا شعور المرء بتبعية في كل أمر يوكل إليه ، وإدراكه الجازم بأنه مسئول عنه أمام ربه على النحو الذي فصّله الحديث الكريم " **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** " (٣) ، ولذلك يمكن القول بأن لها عدة صور منها :

١ ــ **المناصب :** من معاني الأمانة وضع كل شيء في المكان الجدير به ، واللائق له ، فلا يسند منصب إلا لصاحبه الحقيقي به ، ولا تملأ وظيفة إلا بالرجل الذي ترفعه كفايته إليها .

واعتبار الولايات والأعمال العامة أمانات مسئولة ثابت من وجوه كثيرة (٤) .

فعن أبي ذر قال : **قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ : أَلا تَسْتَعملُني ؟ قَالَ : فَضَرَبَ بِيَدِهِ على مَنْكِبِي ، ثُمَّ قَالَ :" يَا أَبَا ذَرَّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدامَةٌ ، إِلاَّ مَنْ أَخَذَها بِحَقِّهَا وَأَدَّى الذي عليه فِيهَا** " (٥) .

وقال عليه الصلاة والسلام : " **اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مَنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِم**

---

(١) الحديث السابق .

(٢) خلق المسلم صـ٥٦ ، ٥٧ بتصرف .

(٣) تقدم تخريجه صـ٣٥ .

(٤) خلق المسلم الشيخ محمد الغزالي صـ ٥٠ .

(٥) رواه مسلم في صحيحه : كتاب الإمارة ، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ٣/ ١٤٥٧ رقم ١٨٢٥ .

فاشقُقْ عَلَيْهِ ، وَمَنَ وِلَيِ مَنْ أَمْرِ أَمَّتي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِم فَأَرْفُقْ بِهِ " [١] .

وإذا كان اختيار العامل أمانة ، فإن أداء العمل نفسه أمانة ويجب أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملاً في العمل الذي يناط به ، وأن يستنفذ جهده في إبلاغه تمام الإحسان ، أجل إنها أمانة يمجدها الإسلام ، وأن يُخْلص الرجل لشغله وأن يعني بإجادته ، وأن يسهر على حقوق الناس التي وضعت بين يديه ، فإن استهانة الفرد لما كلف به ــ وإن كان تافهًا ــ تستتبع شيوع التفريط في حياة الجماعة كلها ، ثم استشراء الفساد في كيان الأمة وتداعيه برمته .

وخيانته هذه الواجبات تتفاوت إثمًا ونُكْرًا ، وأشدها شناعة ، ما أصاب الدين وجمهور المسلمين ، وتعرضت البلاد لأذاه ، ومما يؤيد ذلك ما رواه ابن عمر عن النبى ﷺ قال [٢] : " **إِذَا جَمَعَ الله الأوَّلِينَ والآخِرين يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرْفَعُ لِكُل غَادِرٍ لِوَاءُ** [٣] **يعرف به ! فيقال : هذه غدرة فلان .. .**" [٤].

وليس أعظم خيانة ولا أسوأ عاقبة من رجل تولى أمور الناس فنام عنها حتى أضاعها. ومن الصور الواقعية على هذا ما حدث في مصر قبل ٢٥ يناير سنة ٢٠١١ فقد ضاعت الأمانة ووسد الأمر إلى غير أهله حتى أصبح الفساد كأنه الأصل وعمت البلوى وضاعت الحقوق وسرقت الأموال وانتشر الجهل وضاع التعليم حتى أصبح يخيل إلى الناس أن الباطل هو الحق لشيوعه وانتشاره في أرجاء البلاد .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ٣/ ١٤٥٨ رقم ١٨٢٨/ ١٩ .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه : كتاب الجهاد والسير / باب تحريم الغدر ١٤٥٩/٣ برقم ٩/١٧٣٥ ، وأحمد فى مسنده ٤١٨/٤ برقم ٤٨٣٩ وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح.

(٣) لواء : أى علامة يشهر بها فى الناس ؛ لأن موضوع اللواء شهرة مكان الرئيس وجمعه : ألوية (النهاية فى غريب الحديث ٢٧٩/٤) .

(٤) خلق المسلم للشيخ الغزالي صـ ٥٠ : ٥٢ بتصرف .

٢ ــ **الودائـــع** : وهي أشهر أنـــواع الأمانة حتى إن العامة قد لا تفهم من معاني الأمانة إلا الوديعة ، وقـــد حرص عليها الإسلام ، وكان رسول الله ﷺ أميناً وحث أتباعـــه على هـــذا الخلق العظيم فقـــد روى أنس عن النبى ﷺ قال : " **لا إيمـــان لمن لا أمانـــة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، وموضع الصلاة من الدين كموضـــع الرأس مـــن الجسد** " (١) ، فعـــن أبى هريرة عـــن النبى ﷺ قال: " **مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا ، أَدَّى اللهُ عَنْهُ ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا ، أَتْلَفَهُ اللهُ** " (٢) .

٣ ــ **الأســـرار** : وتشمل ما يدور بين الناس ، وما يقـــال داخـــل الاجتماعيـــات المختلفة فيجب على المسلم أن يحافظ على حقوق المجالس التي يشارك فيهـــا ، ولا يدع لسانه يفشي أسرارها ، ويسرد أخبارها .

فكم من حبال تقطعت، ومصالح تعطلت، لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلـــس، وذكرهم ما يدور فيه من كلام منسوبًا إلى قائله، أو غير منسوب فعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: "**إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالحديثِ ثمَّ الْتَفَتَ، فِهِيَ أَمَانَةٌ**"(٣).

والمجالس تكون أمانات إذا كان ما يدور فيها لا يخالف شرع الله أما إذا قيل فيها ما لا يتفق وديـــن الإسلام ، فليست لها حرمة ، ولا احترام فعن جابر بن عبـــد الله ــ رضي الله عنهما : قال : قال رسول الله ﷺ : " **المَجَالِسُ بِالأَمَانَـــة إِلاَّ ثَـــلاَثَ : سَفْكِ دم حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع مال بغير حق** " (٤) .

---

(١) رواه أحمد في مسنده ١٣٥/٣ ، ١٥٤ ، وأورده الهيثمى فى المجمع ٩٦/١ وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط وفيه أبو هلال وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائى وغيره ، وابن أبى شيبة فى المصنف : كتاب الإيمان / باب ما قالوا فى صفة الإيمان ٢١١/٧ برقم ٢ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الاستقراض / باب من أخذ أموال الناس ١/ ٥٣٢ برقم ٢٣٨٧ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه : كتاب الآداب / باب في نقل الحديث ٤/ ٢٦٩ برقم ٤٨٦٨ ، والترمذي فـــي البـــر/ باب ما جاء أن المجلس أمانة وقال : حديث حسن ٤٣١/٤ برقم ١٩٥٩ .

(٤) رواه أبو داود في سننه : كتاب الآداب / باب في نقل الحديث ٤/ ٢٦٩ برقم ٤٨٦٩ .

وهذا اللون من الأمانة يشمل ما يدور بين الزوجين من أمـــور خاصـــة فلـــيس لأحدهما إفشاؤها ؛ لأنها من أدق أنواع الأمانات التي يجب صيانتها فعن أبى سعيد الخدرى قال : قال عليه أفضل الصلاة والسلام : " **إِنّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْـــدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيامَـــةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَّى امْرَأَتِهِ ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ ، ثُـــمَّ يَنْـــشُرُ سِـــرَّهَا** " [١] فإفشاء هذه الأسرار من أعظم خيانة الأمانة [٢] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب النكاح / باب تحريم إفشاء سر المرأة ٢/ ١٠٦٠ رقم ١٤٣٧ ، وأبو داود فـــي سننه : الموضع السابق .

٢٥) أخلاقنا : صـــ ٢٥٢ ، ٢٥٣ د / محمد ربيع جوهري بتصرف .

المطلب الخامس : الصبر مقام إيمان

من الأخلاق الإسلامية خلق الصبر ؛ ولأهمية الصبر في بناء الشخصية المسلمة فقد تكرر ذكره في القرآن الكريم ، قال الإمام أحمد رحمه الله : الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعًا ، وقال ابن القيم : مذكور في القرآن على ستة عشر نوعًا ثم عدد الأنواع :

لا يزال الإيمان يسمو بالإنسان إلى أعلى عليين حتى يجعله لائقًا بالجنة ؛ لأن الإيمان يربط الإنسان بخالق الكون الجليل سبحانه ، فيرتبط معه برباط ووثاق شديدين ، حتى يكسب الإنسان تلك القيمة السامية التي تجعله أهلا لرضوان ربه عز وجل .

ولكن لابد للإيمان في القلب من قرناء ، وأخلص قرناء الإيمان هو الصبر الذي يعين السائرين إلى الله على تحمل المشاق ، وتكبد الصعاب ، ويجعل في الأفئدة لهيبًا من الإيمان ، ويرتقي به حتى كأنك ترى القلب قد تحول إلى مزيد من العطاء والبذل ، وهذا دليل على عزم صاحبه فى إرضاء ربه عز وجل .

فالصبر ولا شك هو أحد لوازم الأدوات الإيمانية حيث إنه لا إيمان بغير صبر ، فإن من ارتضى سلوك طريق الحق عز وجل لابد له من التسلح بالصبر من كثرة ما يلاقي من المحن والفتن ، حيث حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات ، ولا يخفى على ذي عقل أن من لم يكن من الصابرين فإنه ولا شك لن يكمل الطريق بل سرعان ما سيعود كما عاد غيره صفر اليدين ، لم يظفر بمطلوبه ، وإنما أكمل الطريق من صبر حتى تحول صبره إلى رضا حين رضي بمطارق القدر تفعل فيه ما تشاء ، فأسلم لربه عز وجل نفسه واقفًا على أبوابه .

إن الصبر كان قرينًا لأولئك المعذبين في مكة تشهد بذلك رمضاؤها حين ألهبت السياط ظهور بلال ، وخباب ، وياسر وسمية ، وعمار فصبروا وهم يريدون الجنة

، فما يفصل بينهم وبين الجنة إلا صبر أيام مهما طالت فهي قلائل ، فاستعذبوا العذاب ، فإذا بالجراح أفراح ، وإذا بالآلام آمال ، وإذا بالمحن منح ، فطار النداء في أرجاء مكة يتردد صداه : أحد أحد .

ولئن كان هذا هو حال الرعيل الأول من هذه الأمة وهم خيرها على الإطلاق فوجب علينا الإتباع ، وسلوك مسلكهم حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً [1] .

ومن هنا كان الصبر خلق له أهمية في بناء شخصية المسلم فهو يدعم الإيمان ويطهر العقيدة من الاعتراض فقد شاء الله تبارك وتعالى للإسلام أن يكون دين الصبر فجعل الصبر من الإيمان وطهارة للعقيدة من الاعتراض على القضاء ونور للنفوس في ظلمات نوائب الدهر ونوازل الزمان وهذا هو الفهم الحقيقي لخلق الصبر بخلاف ما يظن الكثير من أن الصبر معناه الاستسلام والرضى بالواقع والكف عن معالجة الأمور والاحتيال للخروج من الشدائد والأزمات . فالصبر كما يكون جهدًا نفسيًا للتأبي على المعاصي والابتعاد عن السيئات يكون في كثير من الأحيان جهدًا عمليًا إيجابيًا فيه حركة وسعي وإنتاج وتحمل للتبعات وجلائل الأعمال ومواقف الأبطال ، وهو السلاح القوي الذي يمكن صاحبه من إصلاح خصمه أو الزفر به وهو العاصم للمسلم من التخبط والهداية الواقية من اليأس والقنوط ، وقد أرشد الحق سبحانه وتعالى المسلم إلى وجوب التحلي بفضيلة الصبر عند المصائب ، وعند كل ما يجلب الآلام ويورث المتاعب والأكدار [2] فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (آل عمران:١٤٢) .

قال الشيخ الغزالي : والصبر يعتمد على حقيقتين خطيرتين :

---

(١) مقدمة عدة الصابرين لابن قيم الجوزية صـ ٣: ٤ .

(٢) أصول الأخلاق الإسلامية صـ ٢١٤ : ٢١٥ بتصرف .

أما الأولى : فتتعلق بالحياة الدنيا ، فإن الله لم يجعلها دار جزاء وقرار ، بل جعلها دار تمحيص وامتحان ، والفترة التي يقضيها المرء بها فترة تجارب متصلة الحلقات يخرج من امتحان ليدخل في امتحان آخر، وقد يغاير الأول مغايرة تامة ، أي أن الإنسان قد يمتحن بالشيء وضده ، مثلما يصهر الحديد في النار ثم يرمي في الماء ، وكان سليمان ــ عليه السلام ــ عالمًا بطبيعة الدنيا عندما رزق التمكن الهائل فيها فقال : ﴿ **هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** ﴾(النمل :٤٠).

والابتلاء بالأحزان مبهم الأسباب ، ويحسن أن نفهم أن أوضاع الناس في الحياة كجيش عُبِّئ للقتال ، وقد تكلف بعض فرقة بالقتال حتى الموت ، لإنقاذ فرق أخرى ، وإنقاذ الفرق الباقية يكون للقذف بها في معارك جديدة ترسمها القيادة حسبما توحي به المصلحة الكبرى ، فتقدير فرد ما في هذه الغمار المائجة لا ينظر إليه ؛ لأن ألأمر أوسع مدى من أن يرتبط بكيان فرد معين .

كذلك قد يكبت القدر على البعض صنوفاً من الابتلاء ربما انتهت بمصارعهم ، وليس أمام الفرد إلا أن يستقبل البلاء الوافد بالصبر والتسليم ، وما دامت الحياة امتحاناً فلنكرس جهودنا للنجاح فيه .

وامتحان الحياة ليس كلامًا يكتب أو أقوالاً توجه ، إنها الآلام التي تقتحم النفس وتفتح إليها طريقًا من الرعب والحرج إنها المظالم التي تجعل قومًا يدعون الألوهية، وآخرون ليستشهدون وهم يدافعون عن حقوقهم المنهوبة .

إن تاريخ الحياة من بدء الخلق إلى اليوم مؤسف ، ومن الحق أن يشق المرء طريقه في الحياة وهو موقن بأنه غاص بالأشواك .

أما الحقيقة الثانية : فتتعلق بطبيعة الإيمان . فالإيمان صلة بين الإنسان وبين الله عز وجل وإذا كانت صلات الصداقة بين الناس لا يعتد بها إلا إذا أكدها مر الأيام، وتقلب الليالي ، واختلاف الحوادث ، فكذلك الإيمان ، لابد أن تخضع صلته

للابتلاء الذي يمحصها ، فإما كشف عن طيبها ، وإما كشف عن زيفها .
قال الله تعالى : ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ (العنكبوت:٢، ٣) .

على هاتين الحقيقتين يقوم الصبر ، ومن أجلهما يطالب الدين به ، بيد أن الإنسان ، ومن عادته تجاهل الحقائق ، يدهش الصعاب إذا لاقته ويتبرم بالألام إذا مسته ، فإذا أحرجه أمر ، أو صدمته خيبة ، أو نزلت به كارثة ، ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وضاقت عليه الأيام مهما امتدت !! وحاول أن يخرج من حالته بأسرع من لمح البصر ، وهي محاولة قلما تنجح ؛ لأنها ضد طبيعة الدين والدنيا ، وأولى بالمسلم أن يدرب نفسه على طول الانتظار ، قال تعالى : ﴿ **خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ** ﴾ (الأنبياء : ٣٧) .
ومما يؤيد ذلك ما رواه أبو سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : " **وَمَنْ يَتَصَبَّرُ يُصَبِّرْهُ اللهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدُ عَطَاءُ خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ** " (١) .

والصبر من معالم العظمة وشارات الكمال ، ومن دلائل هيمنة النفس على ما حولها ولذلك كان الصبور من أسماء الله الحسنى ، فهو يتمهل ولا يتعجل ويبطئ بالعقاب أن أسرع الناس بالجريمة ، ويرسل أقداره لتعمل عملها في اتساع القرون ، لا على ضيق الأعمار ، وفي نطاق الزمن الرحب ، لا في حدود الرغبات الفائرة ، والمشاعر الثائرة قال تعالى : ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** ﴾(الحج : ٤٧) .

---

(١) البخاري في صحيحه : كتاب الزكاة /باب الاستعفاف في المسألة ٣٣٤/١ برقم ١٤٦٩ ، ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة / باب فضل التعفف والتصبر ٧٢٩/٢ برقم ١٢٤/١٠٥٣ . واللفظ له جزء حديث .

والصبر من عناصر الرجولة الناضجة والبطولة الفارعة ، فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل ، والمرء إذا كان لديه متاع ثقيل يريد نقله ، لم يستأجر أطفالاً أو مرضى إنما ينتقي له ذوي الكواهل الصلبة ، والمناكب الشداد !! كذلك الحياة لا ينهض برسالتها الكبرى ، ولا ينقلها من طور إلا طور إلا رجال عمالقة وأبطال صبارون .

ومن ثم كان نصيب القادة من العناء والبلاء مكافئًا لما أتوا من مواهب ، ولما أدوا من أعمال .

سُئل رسول الله ﷺ : أي الناس أشد بلاء؟ قال :" **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الناس على قدر دينهم ، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي على الأرض ما عليه خطيئة** " (١) .

فاختلاف أنصبة الناس من الجهد والتبعة والهموم الكبيرة يعود إلى طاقتهم في التحمل والثبات (٢) .

صبره عليه أفضل الصلاة والسلام :

ولقد ضرب ﷺ أروع الأمثلة للصبر في كل الأحوال . فقد صبر على أذى قومه، وصبر على المرض ، وصبر على هجرة الأوطان ، وصبر على موت الأحباب وسوف اقتصر على بعض الأمثلة .

١ــ صبره على أذى قومه فقد رموه ﷺ بالكذب والكهانة ، والجنون والشعر ، والسحر كما يشهد على ذلك القرآن الكريم .

٢ــ صبر على أذى بعض أصحابه، كما في حادث الإفك، وكما روي ابن مسعود رضى الله عنه قال: **قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قِسْمَةً لَبَعْضِ مَا كَانَ يَقْسِمُ فَقَالَ رَجُلُ مِنْ**

---

(١) البخاري في صحيحه : كتاب المرضى / باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ٣/ ١٢٩٢ تعليقًا ، جزء حديث .

(٢) خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي صـ ١٣٤ : ١٣٧ بتصرف .

الأَنْصَارِ ؛ واللهِ إِنَّهَا لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيد بِها وَجْهُ اللهُ قُلْتُ: أَمَّا لأَقُولَنَّ النَبِيَّ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وهُوَ فِي أَصْحَابِه، فَسَارَرْتُهُ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النبيﷺ،وتَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَغَضِبَ، حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَخْبَرْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: قَدْ أُوذِيّ ومُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَبَرَ " (١) .

٣ ــ وصبر على آلام المرض قالت عائشة : **مَا رَأَيْتَ رجُلاً أَشَدَّ عَلَيهِ الْوَجَعُ مِنْ رسُول الله ﷺ** (٢) .

٤ ــ وصبر على موت أحبابه ، كما صبر على وفاة زوجته خديجة ــ رضي الله عنها ــ وقد قدر الله موت أبنائه الذكور جميعًا في حياته ، ولم يبق بعده من بناته إلا فاطمة الزهراء ــ رضي الله عنها ــ (٣) .

تعليمه ﷺ الصحابة الصبر :

علَّم النبي ﷺ الصحابة الصبر في الأحوال فعلهم الصبر من أجل هذا الدين وهو أرفع أنواع الصبر ، علمهم الصبر على الأمراض والأسقام واحتمال صنوف الأذى ، وعلمهم الصبر عند موت الأهل والأحباب وفلذة الأكباد ، ولقد ضرب ﷺ بالدليل العمل أروع الأمثلة على الصبر فكان تعليمه قدوة للرعيل الأول من الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ وسوف أضرب بعض الأمثلة لبيان تعليمه ﷺ الصحابة .

١ ــ علمهم الصبر من أجل هذا الدين ، والتضحية في سبيله فعن خباب بن الأرث قال : **شَكَوْنَا إِلَّى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدُ بُرْدَةُ لَهُ فِي ظِلَّ الْكَعْبَةَ فَقُلْنَا لَهُ : أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا ؟ أَلا تَدْعُو لَنْا ؟ فَقَالَ : " قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ ، فَيُجْعَلُ فِيَها ، فيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ ، فَيُوَضَعُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ**

---

(١) البخاري في صحيحه : كتاب الأدب / باب الصبر في الأذى ٣/ ١٣٧٣ برقم ٦١٠٠ ، ومسلم في صحيحه : كتاب الزكاة / باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ٢٠/ ٧٣٩ رقم ١٠٦٢ / ١٤٠ .

(٢) مسلم في صحيحه : كتاب البر والصلة / باب ثواب المؤمن فيما يصيبه ٤/ ١٩٩٠ برقم ٢٥٧٠ .

(٣) أخلاقنا د / محمد ربيع الجوهري صـ ٢٩٣ : ٢٩٤ .

، ويُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ " (١) .

٢ ــ علمهم الصبر على الأمراض والأسقام : **فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ ــ أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ ــ فَقَالَ : مَالَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ ــ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيِّبِ ــ تُزَفْزِينَ** (٢) **؟ قَالَتِ : الْحُمَّى لا بَارَكَ اللهُ فِيهَا . فَقَالَ : لاَ تَسُبِّي الْحُمَّى ، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ "** (٣) .

وعن عائشة زوج النبي ﷺ أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللهِ : أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، فَجَعَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا ، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلاَّ مَا كَتَبَهُ اللهُ لَهُ إِلاَّ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ " (٤) .

وعن أبي سعيد وأبي هريرة ــ رضي الله عنهما ــ سمعا رسول الله ﷺ يقول : **" مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ ، وَلاَ نَصَبٍ ، وَلاَ سَقَمٍ ، وَلاَ حَزَنٍ ، حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ إِلاَّ كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ "** (٥)

وعن أنس قال : سمعت النبي ﷺ يقول : **" قال الله عز وجل :"إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ "** (٦)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب المناقب / باب علامات النبوة في الإسلام ٢/ ٨٢٠ برقم ٣٦١٢ رقم ٣٨٥٢ ، ٦٩٤٣ .

(٢) تزفرين أي ترتعد ويروي بالرَّاء والزاي (النهاية لابن الأثير ٢/ ٢٤٣ ، ٣٠٥) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب البر والصلة /باب ثواب المؤمن فيما نصبه ٤/ ١٩٩٣ برقم ٤٥٧٥ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الطب / باب أجر الصابر في الطاعون ٣/ ١٣٠٨ برقم ٥٧٣٤ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب البر والصلة / باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض ٤/ ١٩٩٣ ، والبخاري في صحيحه : كتاب المرضى / باب ما جاء في كفارة المرض ٣/ ١٢٩١ برقم ٥٦٤٠ .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب المرضى / باب فضل من ذهب بصره ٢/ ١٢٩٣ برقم ٥٦٥٣ .

٣ ــ علمهم الصبر عند موت الأهل والأحباب : عن أم سلمة ــ رضي الله عنها ــ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **مَا مِنْ مُسْلِمَ تُصِيبُهُ مُصِيبَةُ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ : إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ : اللّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفُ لِي خَيْرًا مِنْهَا ــ إِلاَّ أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا** " (١) .

قالت : فلما مات أبو سلمة قلت أي المسلمين خير من أبي سلمة ، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسوله ﷺ .

وعن أبي موسى الأشعري ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : " **إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلاَئِكَتِهِ قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي فَيَقُولُونَ نَعَمْ ، فَيَقُولُ قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ ؟ فَيَقُولُونَ نَعَمْ ، فَيَقُولُ مَاذَا قَالَ عَبْدِي ؟ فَيَقُولون حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ ، فَيَقُول ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ** " (٢) .

٤ ــ وعلمهم الصبر على جميع أنواع البلاء والأذى : عن صهيب قال : " **قال رسول الله ﷺ :" عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ : إِنْ أَمْرهُ كُلَّهُ خَيْرُ وَلَيس ذَاكَ لأَحَدِ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ . إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاء شَكَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابْتُهُ ضَرَّاء صَبَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ** " (٣) .

ومن حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " **لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة في جسده وفي ماله وفي ولده حتى يلقي الله وما عليه خطيئة** " (٤) .

---

(١) مسلم في صحيحه : كتاب الجنائز / باب ما يقال عند المصيبة ٢/ ٦٣١ برقم ٩١٨ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب الجنائز / باب فضل المصيبة إذا احتسب ٣/ ٣٤١ برقم ١٠٢١ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

(٣) رواه مسلم في صحيحه : كتاب الزهد والرقائق / باب المؤمن أمره كله خير ٤/ ٢٢٩٥ برقم ٢٢٩٩ .

(٤) أحمد في مسنده ٢/ ٢٨٧ وصححه أحمد شاكر .

ــ عدة الصابرين صـ ٨٥ : ٨٨ ــ أخلاقنا د/ محمد ربيع الجوهري صـ ٢٩٣ : ٢٩٧ بتصرف .

أنـواع الصبـر :

والصبر له ثلاثة أنواع : الصبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، وصبر على النوازل والامتحان .

١ ــ فأما الصبر على الطاعة : فأساسه أن أركان الإسلام اللازمة تحتاج في القيام بها والمداومة عليها إلى تحمل ومعاناة. فالصلاة مثلاً فريضة متكررة يقول الله فيها : ﴿ **وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾ (البقرة :٤٥) .

وعشرة المؤمنين والإبقاء على مودتهم والإغضاء عن هفواتهم ، خصال تعتمد على الصبر الجميل قال تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾ (الكهف : ٢٨) .

٢ ــ والصبر عن المعاصي : هو عنصر المقاومة للمغريات التي تقف في طريق الناس ، وزينت لهم اقتراف المآثم المحظورة قال رسول الله ﷺ : " **حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ** " [١] .

والإقبال على المكاره والإدبار عن الشهوات لا يتأتى إلا لصبور ، والصبر هنا أثر اليقين الحاسم والاتجاه الحازم إلى ما يرضي الله .

٣ ــ الصبر على ما يصيب المؤمن في نفسه أو ماله ، أو منزلته ، أو أهله ، وتلك كلها أعراض متوقعة ، وهيهات أن تخلو الحياة منها [٢] .

وهذه الثلاثة هي التي أوصى بها لقمان ابنه في قوله : ﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ** ﴾ (لقمان : ١٧) فأمره بالمعروف يتناول فعله بنفسه وأمره غيره به ، وكذلك نهبه عن المنكر ، وذكر سبحانه هذه الأصول الثلاثة في قوله : ﴿ **أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ**

---

(١) مسلم في صحيحه : كتاب الجنة وصفة تعميمها / مقدمة الكتاب ٢١٧٤/٤ برقم ١/٢٨٢٢ .

(٢) خلق المسلم للشيخ الغزالي صـ ١٤١ : ١٤٢ بتصرف .

كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّـهِ وَلاَ يِنقُـضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعـد : ١٩: ٢٢) .

والمقصود أن هذه الآيات تناولت مقامات الإسلام والإيمان كلها اشـتملت علـى فعل المأمور ، وترك المحظور ، والصبر على المقدور [١] .

فوائـده :

١ ــ أن الصبر من أخلاق الرسل قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كُـذِّبَتْ رُسُـلٌ مِّـن قَبْلِـكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا** ﴾ (الأنعام : ٢٤) .

٢ ــ أثنى الله على أهل الصبر وجعلهم أهل للتقوى لقوله تعالى : ﴿ **وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ (البقرة : ١٧٦)

٣ ــ أخبـر سبحانـه وتعالى أنـه يحبهم كقـوله : ﴿ **وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ (آل عمران : ١٤٦) .

٤ ــ إيجاب معيته لهم ، وهي معية خاصة : تتضمن حفظهم ونصرهم وتأييدهم ، ليست معيَّة عامة ، وهي معية العلم والإحاطة كقوله : ﴿**وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّـهَ مَـعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (الأنفال : ٤٦) .

٥ ــ إخباره بأن الصبر خير لأصـحابه كقولـه :﴿ **وَلَـئِن صَـبَرْتُمْ لَهُـوَ خَيْـرٌ لِّلصَّابِرِينَ**﴾(النحل:١٢٦) .

٦ ــ الصبر من أسباب الفلاح ، قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـواْ اصْـبِرُواْ**

---

(١) عدة الصابرين ٢٩: ٣٢ بتصرف .

وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران : ٢٠٠) .

٧ ــ إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم ، كقوله تعالى : ﴿**وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ (النحل : ٩٦) .

٨ ــ إيجاب الجزاء لهم بغير حساب كقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ (الزمر : ١٠) .

٩ ــ بشرهم بالخير ، وجمع لهم ما لم يجمعه لغيرهم فجمع لهم الصلوات ، والرحمة ، والهدى كقوله تعالى : ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ (البقرة : ١٥٥ : ١٥٧) .

١٠ ــ أنه سبحانه جعل الصبر عوناً وعدة وأمرنا بالاستعانة به فقال تعالى : ﴿**اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ** ﴾ (البقرة : ٤٥) ضمن صبر فلا عون له .

١١ ــ أنه سبحانه علق النصر بالصبر والتقوى ، وجعله من أهم عوامل النصر والمدد من الله فقال تعالى : ﴿ **بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾ (آل عمران : ١٢٥) .

ووعد المؤمنين بالنصر والظفر ، وأخبر أنه إنما أنالهم ذلك بالصبر فقال تعالى : ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ**﴾ (الأعراف : ١٣٧) .

١٢ ــ أن الله عز وجل بيّن أنه إنما ينفع بالآيات والعبر أهل الصبر ، كقوله تعالى : ﴿ **أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾ (إبراهيم : ٥) .

وقوله تعالى:﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ*إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾ (الشورى: ٣٢ ــ ٣٣) .

وأخبر أنه إنما ينتفع بآياته ويتعظ بها الصبار الشكور في أربع مواطن [1] في القرآن .

١٣ ــ أنه يورث صاحبه الإمامة : قال ابن القيم : سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ثم تلا قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ (السجدة : ٢٤) .

١٤ ــ أن الله سبحانه حكم بالخسران حكمًا عامًا على كل من لم يؤمن ولم يكن من أهل الحق والصبر ، وهذا يدل على أنه لا رابح سواهم فقال تعالى : ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ (العصر ١: ٣) ، ولهذا قال الشافعي[2] : لو فكر الناس كلهم في هذه الآية لوسعتهم ، وذلك أن العبد كماله في تكميل قوتيه : قوة العلم وقوة العمل وهما الإيمان والعمل الصالح ، وكما هو محتاج إلى تكميل نفسه فهو محتاج إلى تكميل غيره ، وهو التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر ، وأخيه ذلك وقاعدته التي يقوم عليه إنما هو الصبر .

١٥ ــ اقترانه بمقامات الإسلام ، والإيمان ، كما قرنه الله سبحانه باليقين وبالإيمان وبالتقوى ، والتوكل ، وبالشكر ، والعمل الصالح ، والرحمة .

ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له[3] ، أخبر النبي ﷺ بأنه ضياء فقد روى أبو مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : " **الصَّبْرُ ضِيَاءُ** [4] " ، وذلك فيما رواه صهيب قال : قال ﷺ : " **عَجِبًا لأَمْرُ**

---

(١) المواطن الأخرى سورة لقمان آية ٣١ ، سورة سبأ آية : ١٩ .

(٢) عدة الصابرين صـ٨٠ .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ١٤٧/٢ : ١٤٩ ، وعدة الصابرين صـ ٧٧: ٨٠ بتصرف .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الطهارة / باب فضل الوضوء ٢٠٣/١ برقم ٢٢٣ /١ والحديث مطولاً ، والترمذي في سننه : كتاب الدعوات باب ٨٦ :٥/ ٥٠١ برقم ٣٥١٧ والحديث مطولاً .

الْمُمِنِ : إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، لَيْس ذَلِكَ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَــراءُ شَــكَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنَّ أَصَابْتُه ضَرَّاءُ صَبَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ " [1] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الزهد والرقائق / باب المؤمن أمره كله خيــر ٢٢٩٥/٤ بــرقم ٢٩٩٩/ ٦٤ ، وأحمد في مسنده ٤/ ٣٣٢ .

المبحث الثالث

ربط العلم بالأخلاق

ويشتمل على عدة مطالب :

المطلب الأول : أهمية العلم للإنسان .

المطلب الثانى : فضل العلم والعلماء .

المطلب الثالث : آفات العلم .

المطلب الأول : أهمية العلم

إذا نظرنا إلى المصدر الأول للإسلام وهو القرآن الكريم كتاب الله ، وتدبرنا آياته وتأملنا موضوعاته واهتماماته نستطيع أن نصفه بأنه كتاب الإنسان ، فالقرآن كله إما حديث إلى الإنسان ، أو حديث عن الإنسان .

إن كلمة "الإنسان" تكررت في القرآن ثلاث وستين مرة ، فضلاً عن ذكره بألفاظ أخرى مثل "بني آدم" التي ذكرت ست مرات ، وكلمة الناس التي تكررت مائتين وأربعين مرة في مكي القرآن ومدنية ، ولعل أبرز الدلائل على ذلك أن أول ما نزل من آيات القرآن على رسول الإسلام محمد ﷺ خمس آيات من سورة العلق ذكرت كلمة الإنسان في اثنين منها ومضمونها كلها العناية بأمر الإنسان ، وهذه الآيات هي ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ** .. إلى قوله : ﴿**عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ (العلق) .

ففي قوله تعالى : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ إن هذه الآيات التي تكتب في أقل من سطرين ، والتي بدأ فيها الوحي الإلهي تاريخًا جديدًا للبشرية ، تعبر أوضح التعبير عن نظرة الإسلام إلى الإنسان وعلاقته بالله تعالى ، وعلاقة الله تعالى به ، إنها خطاب لمحمد ﷺ ولكل إنسان يفهم الخطاب من بعده .

فالإنسان في هذه الآيات مأمور أن يقرأ ، والقراءة هنا رمز كل عمل نافع يقوم به الإنسان ، وإنما خص القراءة بالذكر لأنها نقطة الانطلاق للإنسان ، ومفتاح رقية ولأن العلم في الإسلام يجب أن يقوم على العلم ، والعلم مفتاحه القراءة ، ولم يؤمر الإنسان بمجرد القراءة ، بل بقراءة مقيدة "باسم ربه" الخالق .

وقد تكرر اسم رب مرتين مع وصفه تارة بالخالقية ، وتارة بالإكرمية ﴿**وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ**﴾ فعلاقة الإنسان ليست مجرد رب ، لا برب كريم فقط ، بل بالرب الأكرم على الإطلاق ؛ لأنه يعطي بغير حساب وبغير عوض ولا مقابل ، وذكر القرآن من

دلائل أكرميته تعالى أنه ﴿ **الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ ، فالله بالنسبة إلى الإنسان "معلم" والإنسان فتعلم ما لم يكن يعلم ، هذه ميزته ، استعداد للتعلم بالقراءة والكتابة بالقلم .

هذا أول نص نزل به الوحي الإلهي على محمد ﷺ ، وهو نص فريد ورائع حقًا ،فقد حرص على تأكيد أمور معينة من أول لحظة منها :

١ ــ أول ما أمر به الإنسان القراءة .

٢ ــ تعظيم شأن القراءة حيث أمر بها مرتين .

٣ ــ أول أداة ذكرها الوحي : القلم .

٤ ــ أول ما وصف الله به نفسه: "الرب ــ الخالق ــ الأكرم ــ المعلم".

٥ ــ أول ما وصف الله به الإنسان : القدرة على التعلم [١] .

بل جعل الله العلم وسيلة إلى معرفة أن الدين الذي أنزل على محمد ﷺ هو الحق فيؤمنون به فتخشع له قلوبهم وتلين [٢] قال تعالى : ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ (الحج : ٥٤) .

وبغير العلم تحدث الغفلة فتأتي بعدها الضلالة ، بل لا تأتي الضلالة إلا من الغفلة وإغلاق العقل عن التفكير والتأمل قال الله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

---

(١) الخصائص العامة للإسلام صـ ٥٩ : ٦٠ بتصرف .

(٢) التربية الخلقية د . على عبد الحليم صـ ٥٣ ، ٥٤ .

وقال رسول الله ﷺ :" **طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ** " (١) .

وهذا الفرض يلزم جميع المسلمين في مجال مالا يسع المسلم جهالة من جملة الأمور المفترضة عليه نحو الشهادة باللسان والإقرار القلب بأن الله وحده لا شريك له ، لا شبه له ولا مثل ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد ، خالق كل شيء وإليه مرجع كل شيء .

ومن هنا يتبين أهمية العلم في حياة العامة والخاصة ولمزيد من بيان فضل العلم وأهله ومكانتهم في منظور الشريعة الإسلامية سنلقي الضوء على جوانب من أخلاقه ﷺ العملية .

---

(١) ابن ماجه في سننه : المقدمة / باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/ ٨١ برقم ٢٢٤ ، قال في الزوائد : إسناد ضعيف لضعف حفص بن سليمان ، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير ١/ ١٦ .

ــ قال السيوطي : سئل الشيخ محي الدين النووي عن هذا الحديث ، فقال : إنه ضعيف ، أي سندًا ، وإن كان صحيحًا ، أي معني ، وقال تلميذه جمال الدين المزّيّ : هذا الحديث روي من طرق تبلغ به رتبة الحسن ، وهو كما قال : فإن رأيت له قسمين طريقًا ، وقد جمعها في جزء . أ . هـ كلام الإمام السيوطي ، وأخرجه الطبراني في الصغير ١/ ١٦ .

المطلب الثانى : فضل العلم وأهله وصور من أخلاقه ﷺ

قسم الإمام الغزالي الخلق الواحد إلى عدة أخلاق في كثير من الأحيان إلا أنه ارجع أمهات الأخلاق وأصولها إلى أربعة فضائل وأصول وهي :
الحكمة ، الشجاعة ، العفة ، العدل .

وقد جعل ابن القيم من الأسس التي تقوم عليها الحكمة : العلم يقول ابن القيم : للحكمة ثلاثة أركان : العلم ــ الحلم ــ الأناة ، وآفاتها وأضدادها : الجهل ، والطيش ، والعجلة ، فلا حكمة لجاهل ولا طائش ، ولا عجول [1] .

والعلم لا يكون من دعائم الحكمة إلا إذا كان مقروناً بالعمل امتثالاً لقول رسول الله ﷺ : " **وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا** " [2] ولذلك دعا النبي ﷺ لعبد الله بن عباس ــ رضي الله عنهما ــ بالحكمة والفقه في الدين فقال ﷺ : " **اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ ، اللَّهُمْ فَقِّهْهُ** " [3] .

ومن دعائم ربط العلم بالأخلاق نجد العديد من الآيات التي قرن فيها الحلم ــ وهو خلق من أخلاق الإسلام ــ بالعلم كما في قوله تعالى : ﴿**وَصِيَّةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ** ﴾ (الحج:٥٩) ، وقوله تعالى : ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا**﴾ (٥١) .

ولذلك قال تعالى : ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ قال ابن حجر : واضح الدلالة في فضل العلم ؛ لأن الله لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم ،

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٤٤٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب العلم / باب الفهم في العلم ١/ ٣١ برقم ٧٣ ، ١٤٠٩ ، ٧١٤١ ، مسلم في صحيحه : كتاب صلاة المسافرين / باب فضل من يقوم بالقرآن وتعليمه : ١/ ٥٥٩ رقم ٨١٦/ ٢٦٨ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب فضائل الصحابة / باب ذكر ابن عباس ٢/ ٨٥١ برقم ٧٣٥٦، ومسلم في صحيحه : كتاب فضائل الصحابة / باب فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ١٩٢٧/٤ برقم ٢٤٧٧ / ١٣٨ مختصرًا .

والمراد بالعلم العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر عباداته ومعاملاته والعلم بالله وصفاته ، وما يجب له من القيام بأمره ، وتنزيهه عن النقائص ، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه [١] والأحاديث في فضل العلم وأهله لا تنحصر وسنذكر على سبيل المثال بعض الأحاديث .

١ ــ عن أبي موسى ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : " **إنَّ مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى والعِلمِ ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا ، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةُ طَيِّبَةُ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ والْعُشْبَ** [٢] **الْكَثِيرَ ، وكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ** [٣] **أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ ، فَشَرِبُوا وسَقَوْا ورَعَوْا ، وَأَصَابَ طَائِفَةً منها أُخْرَى ، إِنَّما هِيَ قِيعَانٌ** [٤] **لا تُمْسِكُ مَاءً ، ولا تُنْبِتُ كَلأً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ اللهُ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ** " [٥] .

قال ابن قدامة المقدسي : فانظر رحمك الله إلى هذا الحديث ما أوقعه على الخلق، فإن الفقهاء أولى الفهم كمثل البقاع التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ ؛ لأنهم علموا

---

(١) فتح الباري ١/ ١٧٠ : ١٧١ .

(٢) الكَلأُ : النبات ، والعُشْب : هو الكَلأ ما دام رطبًا ، وقال الكَلأ هو : النبات والعُشْب ، سَواءَ رَطْبُه ويابسُه ــ النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٣٨ ، ٤/ ١٩٤ .

(٣) أجادب : قال الخطابي فهو غلط وتصحيف ، قال ابن الأثير : وكأنه يريد أن اللفظة أجَارِد ، بالراء والدال ، وقد روي بالحاء المهملة أو بالجيم كما في صحيحين ، وهي الأرض التي لا نبات بها ، مأخوذ من الجدب وهو القحط (النهاية في غريب الحديث ١/٢٤٣).

(٤) قيعان : القاع : المكان المستوي الواسع في وُطأة من الأرض ، يعلوه ماء السماء فيمسكه ويستوي نباته ، ويجمع على قِيعه وقِيعان (النهاية في غريب الحديث : ٤/ ١٣٢) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب العلم / باب فصل من عِلمَ وَعَلَّمَ ١/ ٣٣ رقم ٧٩ ، ومسلم في صحيحه : كتاب الفضائل / باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدي والعلم ١٧٨٧/٤ ، ١٧٨٨٨ برقم ٢٢٨٢ / ١٥ ، واللفظ له .

وفهموا ، وفرعوا وعلَّموا ، وغاية الناقلين من المحدثين الذين لم يرزقوا الفقه والفهم أنهم كمثل الأجادب التي حفظت الماء فانتفع بما عندهم وأما الذين سمعوا ولم يتعلموا ولم يحفظوا فهم العوام الجهلة [١] .

٢ ــ وعن أبي أمامة ــ رضي الله عنه ــ قال : ذكر لرسول الله ﷺ رجلان : أحدهما عابد ، والآخر عالم فقال رسول الله ﷺ : " **فَضْلُ الْعَالِمِ على الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ** " [٢] .

٣ ــ وعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : " **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلى الْجَنَّةِ** " [٣] .

٤ ــ وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أن رسول الله ﷺ قال : " **مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ** " [٤] .

٥ ــ وعن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ قال : قال النبي ﷺ : " **إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ يُهْتَدَى بِهِم فِي ظُلُمَاتِ الْبُرِّ وَالْبَحْرِ فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ يُوشِكُ أَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةُ** " [٥] .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين صـ ١٢ ، ١٣ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب العلم / باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٣/ ٤٨ برقم ٢٦٨٥ ، قال : هذا حديث غريب .

(٣) أورده البخاري في صحيحه : كتاب العلم / باب فضل العلم قبل القول ١/ ١٩٢ معلقا ، مسلم في صحيحه : كتاب الذكر والدعاء / باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ٤/ ٢٠٧٤ برقم ٢٦٩٩ واللفظ له ، والحديث مطولاً ، وأحمد في مسنده ٢/ ٢٥٢ ، ٣٢٥ .

(٤) البخاري في صحيحه : كتاب العلم / باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ١/١٩٧ .

(٥) أحمد في مسنده ٣/ ١٥٧ ، وقال الشيخ عبد الرحمن البنا : لم أقف عليه في غير الكتاب ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ، وقال : "ح" الفتح الرباني : ١/ ١٤٥ .

وجعل ﷺ العلم مـــن الأمور التي يغتبط فيها ويتنافس في مضمارها فقال ﷺ : " **لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، وآخـــر آتاه الله حكمة ، فهو يقضي الله بها ويعلمها** " (١) .

وحث ﷺ المسلمين على أن يكون لكل منهم نصيب من العلم فقال : " **اْغُد عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أو مُسْتَمِعًا أَو مُحِبًّا ، وَلا تَكُنِ الخَامِسَةَ فَتَهْلِك** " (٢) .

=

ــ أورده المنذري في الترغيب والترهيب : كتاب العلم ١/ ١٠١ : ١٠٢ برقم ٢٩ ، وقال : رواه أحمـــد عـــن أبـــي حفص صاحب أنس عنه ، ولم أعرفه وفيه رشدين ، وأورده الألباني في ضعيف الجامع الصغير صـــــ ٢٨٦ بـــرقم ١٩٧٣ .

وعزاه لأحمد والمنذري في الترغيب ، وأورده الهيثمي في المجمع ١/ ١٢١ ، وقـــال : رواه أحمد وفيه رشدين بـــن سعد واختلف في الاحتجاج به ، وأبو حفص صاحب أنس مجهول .

(١) تقدم تخريجه في أول البحث صـــ ٥٦ .

(٢) أخرجه الطبراني فـــي الأوسط ٥/ ٢٣١ برقـــم ٥١٧١ ، وقال : لم يرو هذا الحديث عن خالد الحذاء إلا عطاء ابن مسلم ، تفرد بـــه عبيد بن جناد ، وأورده الهيثمي في المجمع ١: ١٢٢ ، وقال : رواه الطبرانـــي فـــي الثلاثـــة والبزار ورجاله موثقون .

السنة قبل التدوين صـــ ٣٨ .

صور من أخلاقه ﷺ

١ ــ صبره ﷺ على طلاب العلم :

قال الآجري : أما أخلاقه مع مجالسيه فصبور على من كان ذهنه بطيئًا عن الفهم حتى يفهم عنه صبور على جفاء من جهل حتى يرده حلمه . فعن شريك بن أبي نمرة أنه سمع أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ يقول : " **بَيْنَمَا نَحْن جُلُوسُ فِي الْمَسْجِدِ ، دَخَلَ رَجُلُ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ عَقَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَيُّكُمْ مُحَمَّدُ ؟ والنبي ﷺ مُتكئ بَيْنَ ظَهْرانَيْهِمْ ــ فَقُلْنَا : هذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ : فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : يَا ابْنَ عَبْد الْمُطَّلِب ، فَقَالَ لَهُ النبي ﷺ :" قَدْ أَجَبْتُكَ ، فَقَالَ : " الرَّجُل يا محمد ، إِنِّي سَائِلُكَ وَمُشَدِّدُ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَة فَلاَ تَجِد عليَّ فِي نَفْسِكَ ، فَقَالَ : سلْ عَمَّا بَدَالَكَ ؟ فَقَالَ : أَسْأَلَكَ بِرَبِّكَ وَربِّ مَنْ قَبْلَكَ ، آلله أَرْسَلَكَ إِليَّ النَّاس كلِّهِمْ ؟ فَقَالَ : اللهُمَّ نَعَمْ . قَالَ : أَنْشُدُكَ بالله ، آلله أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّي الصَّلَوَات الخَمْسُ فِي الْيَوْمِ واللَّيْلَة ؟ قَالَ : اللُّهَّم نَعَم . قَالَ : أَنْشُدُكَ بِالله ، آللهُ أَمْرَكَ أَنْ تَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ منَ السَّنَة ؟ قَالَ اللُّهَّم نَعم . قَالَ : فأَنْشُدُكَ بِالله ، آللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِه الصَّدقَةَ منْ أَغْنِيَائنَا فَتَقْسمَهَا عَلَى فُقَرَائنَا ؟ فَقَالَ النبي ﷺ : اللُّهَّم نَعَمْ . فَقَالَ الرَّجُلُ : آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِه ، وَأَنَا رسُولُ مَنْ وَرائي منَ قَوْمي ، وَأَنَا ضِمامُ بن ثَعْلَبَةُ ، أخو بني سَعْد بن بَكْر** " [1] .

وكان ﷺ يؤدب جلساءه بأحسن ما يكون من الأدب لا يدعهم يخوضون فيما لا يعنيهم ويأمرهم بالإنصات مع الاستماع إلى ما ينطق به من العلم ولا يعنف السائل بالتوبيخ القبيح فيخجله ، ولا يزجره فيضع من قدره ، وكان يقبل على من يعلم أنه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب العلم / باب ما جاء في العلم ١/ ٢٨ رقم ٦٣ ، والنسائي في سننه : كتاب الصوم وجوب الصيام صـ ٤٣١ برقم ٢٠٩١ ، وابن ماجه في سننه : كتاب إقامة الصلاة / باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس ٤٤٩/١ برقم ١٤٠٢ .

محتاج إلى علم ما سأل عنه ويترك من يعلم أنه يريد الجدل والمراء .

٢ ــ اهتمامه ﷺ بكل جلسائه :

وكان ﷺ يعطي كل واحد من جلسائه وأصحابه حقه من الالتفات إليه والعناية به حتى يظن كل واحد منهم أنه أحب الناس إلى رسول الله ﷺ [١] .

فعن علي ــ رضي الله عنه ــ في وصفه لمجلس رسول الله ﷺ قال : " **كان يُعْطي كلَّ جلسائه بنصيبه ، لا يَحسَبُ جَلِيسُه أن أحدًا أكرمُ عليه منه** " [٢] .

٣ ــ تواضعه ﷺ :

وكان ﷺ أتم ما يكون تواضعًا للمتعلم والسائل المستفيد فعن أبي رفاعة العدوي ــ رضي الله عنه ــ قال : " **انْتَهَيْتُ إِلَيَّ النبيﷺ وَهُو يَخْطُبُ ، قَالَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! رَجُلُ غَرِيبُ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِه ، لا يَدْرِي مَا دِينُهُ .قَالَ : فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا ، قَالَ : فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَعَلَ يُعَلِّمنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا** " [٣] .

قال الإمام النووي : في هذا الحديث تواضع النبي ﷺ ورِفْقُه بالمسلمين ، وشفقته عليهم وخفض جناحه لهم ، وفيه استحباب تلطف السائل في عبارته وسؤاله العالم ولقد دخل عليه بعض الأعراب ، فارتاع من هيبته ، فقال له :" خَفِّض عليك ، فإنما أنا ابنُ امرأة تأكل القديد [٤] بمكة " [٥] .

---

(١) أخلاق العلماء للآجري صـ ٣٦ ، ٣٧ ، الرسول المعلم د/ عبد الفتاح أبو غُدةُ صـ٣١ ، ٣٢ بتصرف .

(٢) شمائل الترمذي صـ ٢١٢ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الجمعة / باب حديث التعلم في الخطبة ٢/ ٥٩٧ برقم ٨٧٦ ، والنسائي في سننه : كتاب الزينة / باب الجلوس على الكرسي صـ ١٥٢٧ برقم ٥٣٩٢/ ١ .

(٤) القَدِيدُ : من اللحم : ما قطع طولاً ومُلح وجفف في الهواء والشمس ، والمعجم الوسيط ٢/ ٧١٨ .

(٥) بحثت عنه فلم أجده .

فأراد بقولهﷺ : "فإنما أنا ابنُ امرأة تأكل القديد بمكة" نفي صفة الملوكية عنه التي يلزمها الجبروتية والتكبر ، وقال :" **أنا ابن امرأة..** . " نسب نفسه إلى المرأة زيادة في شدة التواضع وتسكين الورع ، لما عُلِمَ من ضعف النساء ، ثم وصفها بأنها "تأكل القديد" تواضعًا ؛ لأن القديد أكل مَفْضُول ، وهو مأكول المساكين الفقراء ، والمتكبرون الجبابرة لا يأكلون من اللحم إلا ما ذبح حديثًا ، فكأنه قال : إنما أنا ابن امرأة مسكينة ، تأكل مفضول الأكل فكيف تخاف مني " [١] .

٤ ــ تعليمه ﷺ الشرائع بالتدريج :

وكان ﷺ يراعي التدريج في التعليم ، فكان يقدم الأهمَّ فالأهمَّ ، ويعلم شيئًا فشيئًا ليكون أقرب تناولاً وأثبت على الفؤاد حفظًا وفهمًا فعن جندب بن عبد الله ــ رضي الله عنه ــ قال : " **كُنَّا مَعَ النبي ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانُ حَزَاوِرَةُ** [٢] **، فَتَعَلَّمْنَا الإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا القُرْآنَ فازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا** " .

وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ :" **أَنَّ النبي ﷺ بَعث معاذًا إلى اليمن ، فَقَالَ :إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَيَّ شَهَادَةِ أَنْ لا إله إلا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لذلك فَأَعْلِمْهُمْ أَنْ اللهَ افْتَرَضْ عَلَيْهِم صَدَقَة ، تَؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ فَتُردُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَأعُوا لِذلك فَإِيَّاكَ وكرائِم أَمْوَالِهِم ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَها وبَيْنَ الله حِجَابُ** " [٣] .

---

(١) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم د/ عبد الفتاح أو غدة صـ٤٥ .

(٢) حزور : هو جمع حَزْوَر وحَزَوَّر ، وهو الذي قارب البلوغ والتاء لتأنيث الجمع (النهاية في غريب الحديث : ١/ ٣٨٠)

أخرجه ابن ماجه في سننه : المقدمة / باب في الإيمان ١/ ٢٣ رقم ٦١ ، وصححه الشيخ مقبل بن هادي في كتاب "الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين ١/ ٤٧ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الزكاة باب أخذ الصدقة من الأغنياء ١/ ٣٤٠ برقم ١٤٩٦ ، ومسلم : كتاب الإيمان / باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإيمان ١/ ٥٠ برقم ٢٩ / ١٩ .

ومن فوائد هذا الحديث : البدء بالأهم فالأهم في الدعوة والتعليم ، إذ المطالبة بجميع الشرائع مرة واحدة تؤدي إلى تضييع الكل ، قال الإمام البخاري في صحيحه[١] في كتاب العلم / باب العلم قبل القول والعمل لا يقال : الرَّبَّاني : الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره ، قال الحافظ ابن حجر [٢] : المراد بصغار العلم ما وَضَحَ من مسائلِهَ ، وبكباره ما دقَّ منها ، وقيل : يُعلم جزئياته ، قبل كَلياته، أو فروعه قبل أصوله ، أو مقدماته قبل مقاصده ، وقال : وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدرج ؛ لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حبب إلى من يدخل فيه ، وتلقاه بانبساط ، وكانت عاقبته غالبًا الازدياد ، بخلاف ضده " .

٥ ــ رعايته ﷺ في التعليم الاعتدال والبعد عن الإملال :

وكان ﷺ يتعهد أوقات أصحابه وأحوالهم في تذكيرهم وتعليمهم ، لئلا يَمَلُّوا ، وكان يراعي في ذلك القصد والاعتدال فقد روي البخاري في كتاب العلم / باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة كي لا يَنْفِرُوا عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ قال : " **يَسِّروا ، ولا تُعسِّروا ، وبَشِّرُوا ولا تُنَفِّروا** " [٣] .

وعن شقيق أبي وائل قال :" كَانَ عبد الله يُذَكر الناس في كل خميس ، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن ــ إنا نحب حديثك ونشتهيه ، ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم ، فقال : ما يمنعني أن أحدِّثَكم إلا كَرَاهيةُ أن أُمِلَّكُم ، وإني أتَخَوَّلُكُم بالمُوعظةِ، كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا " [٤] .

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٣٠ معلقًا .

(٢) فتح الباري ١/ ١٩٥ .

(٣) البخاري في صحيحه : كتاب العلم / باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة ١/ ٣٠ رقم ٦٩ ، مسلم في صحيحه : كتاب الجهاد والسير / باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/ ١٣٥٨ رقم ١٧٣٢ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب العلم / باب من جعل لأهل العلم أيامًا معلومة ٣١/١ برقم ٧٠ ، ومسلم في صحيحه : كتاب صفات المنافقين / باب الاقتصاد في الموعظة ٤/ ٢١٧٢ برقم ٢٨٢١/ ٨٢ .

٦ ــ كان رسول اللهﷺ يحض أصحابه على تفهم أمور دينهم ، ويأمرهم أن يسألوا عما يجهلونه ، ويمنعهم أن يفتوا من غير علم ، ومن ذلك ما رواه ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ :" أن رجلا أصابه جرحُ في عهد رسول الله ﷺ ، قد أصابه احتلام فأمر بالاغتسال فمات ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال :" **قتلوه !! قتلهم الله : ألم يكن شفا العِيِّ** (١) **السؤال ؟** " (٢) . وفى قوله ﷺ "قتلوه" أسند القتل إليهم ، لأنهم تسببوا له لتكليفهم له باستعمال الماء مع وجود الجرح فى رأسه ليكون أدل على الإنكار عليهم ، أما قوله ﷺ "قتلهم الله" ليس المراد منه الدعاء عليهم وإنما قاله زجرًا وتهديد ، ومعنى الحديث : أن الجهل داء وشفاءها السؤال والتعلم (عون المعبود ١/٥٣٤) .

---

(١) العِىّ : الجُهل . وقد عَيِىَ به يَعْيَا عِياً . وعَىَّ بالإدغام والتشديد مثل عِيسى (النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٣/٣٣٤) ، وقيل : التحير فى الكلام .

(٢) أحمد في مسنده ٣/ ٣٢٨ : ٣٢٩ برقم ٣٠٥٧ ، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقال الشيخ عبد الرحمن البنا بعد أن عزاه إلى " خه " رد ، ورواه الدارقطنى والبيهقى وضعفاه لكن قد تعاضدت طرقه فصلح للاحتجاج به ولذا صححه ابن السكت (الفتح الربانى ٢/١٩١) ،وأبو داود فى سننه : كتاب الطهارة /باب فى المجروح يتيمم ١/٩١ برقم ٣٣٧ ، وابن ماجه فى سننه : كتاب الطهارة / باب فى المجروح تصيبه الجنابة فيخاف على نفسه إن اغتسل ١/١٨٩ برقم ٥٧٢ ، والحاكم فى المستدرك : كتاب الطهارة / ترجمة التيمم للجنابة فى الشتاء أو كان به الجراحه ١/١٦٥ وقال : هذا حديث صحيح وأقره الذهبى .

المطلب الثالث : من آفات العلم

نجد أن الشريعة الإسلامية لديها كثير من النصوص التي تحذر من آفات العلم ويمكن سردها على النحو التالي :

١ــ الترهيب من كتم العلم :

فقد حذر رسول الله ﷺ من كتم العلم وأخبر أنه من كتم علمًا ألجم بلجام من النار وذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة ــ رضي الله عنه **قال قال رسول اللهﷺ :** "**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ ــ وفي رواية ألجمه الله عز وجل ــ بِلَجَامٍ من نار يوم القيامة**" [(١)] ، والمعنى : أُدخل في فيه لجام من نار جزاء له على فعله ؛ لأنه أمسك فمه عن كلمة الحق وقت الحاجة والسؤال فجوزي بمثله حيث أمسك الله فمه في وقت اشتداد الحاجة للكلام والجواب عن السؤال عن الأعمال ــ والمراد بالعلم هنا ــ العلم الضروري كما قال علمني الإسلام أو الصلاة وقد حضر وقتها[(٢)] .

وعن أنس قال : **قال رسول الله ﷺ أتيت على سماء الدنيا ليلة أُسرىَ بِي فرَأَيْتُ فيها رجالاً تقطع أَلسنتهم وشفاههم بمقاريض من نار فقلت : يا جبريل ما هؤلاء؟ قال : هؤلاء خُطَبَاءِ من أُمَتِكَ** " [(٣)] .

---

(١) الترمذي في سننه : كتاب العلم / باب ما جاء في كتمان العلم ٥/ ٢٩ برقم ٢٦٤٩ ، وقال : حديث أبي هريرة حديث حسن ، وأبو داود في سننه : كتاب العلم / باب كراهية منع العلم ٣/ ٣٢٠ برقم ٣٦٥٨ وابن ماجه في سننه : المقدمة / باب من سئل عن علم فكتمه ٩٦/١ برقم ٢٦١ .

(٢) الفتح الرباني ١/ ١٦١ .

(٣) أبو يعلي في مسنده : ٧/ ١٨٠ برقم ٤١٦٠ ، والجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين ١/ ٣٣ وقال : صحيح، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ١٧٢ ، وأحمد في مسنده ١٢٠/٣ ، ٢٣٩ ، وابن حبان في صحيحه : كتاب الإيمان / باب ما جاء في الوحي حديث ٣٥ ، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت صـ ٢٥٣ برقم ٥٠٩ ، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ٢٣٤ برقم ٢ ، وعزاه لابن أبي الدنيا وابن حبان .

٢ ــ تحريم الكذب على رسول الله ﷺ :

فقد حذر رسول الله ﷺ من الكذب عليه وذلك فيما رواه أبو هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : " **مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** " (١) ففيه تعظيم تحريم الكذب عليه الصلاة والسلام وأنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة لعظم مفسدته فإن الكذب عليه ﷺ يصير شرعًا مستمرًا إلى يوم القيامة بخلاف الكذب على غيره ولذلك كان المسلمون ألأوائل يحذرون من الكذب على رسول الله ﷺ فهذا ابن سيرين يقول : " **إِنَّ هذَا الْعِلْمَ دِينُ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ** " (٢) ، ولذلك قال المحدثون : يحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعًا أو غلب على ظنه وضعه فمن روي حديثًا علم أو ظن وضعه ولم يبين حال روايته وضعه فهو داخل في هذا الوعيد مندرج في جملة الكاذبين (٣) ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام : " **مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبُ فَهُو أَحَدُ الكاذِبِينَ** " (٤) .

٣ ــ التحذير من منافقي العلماء :

فقد حذر النبي ﷺ أمته من علماء السوء ومن العلم الذي لا ينفع وعلمنا الاستعاذة منه فعن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ **كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ أَرْبَعَ : مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ ، وَدُعَاءٍ لا يُسْمَعُ ، وَنَفْسٍ لا تَشْبَعُ** " (٥) .

---

(١) مسلم في صحيحه : المقدمة / باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ١/ ١٠ ، وأحمد في مسنده ١/ ٣٤ .

(٢) مسلم في صحيحه : الموضع السابق ١/ ١٤ .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ٦٩ : ٧٠ .

(٤) صحيح مسلم : الموضع السابق ١/ ٩ .

(٥) النسائي في سننه : كتاب الاستعاذة / باب الاستعاذة من قلب لا يخشع صـ ١٠٤٣ برقم ٥٤٧٥ ، والجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين ١/ ٣٨ ، وقال : هذا حديث صحيح ، رجاله رجال الصحيح إلا يزيد من سنان قال ابن أبي حاتم صدوق .

وعلماء السوء : هم الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا ، والتوصل إلى المنزلة عند أهلها وهؤلاء بين النبي ﷺ جزاءهم يوم القيامة إنهم لا يجدون رائحة الجنة يوم القيامة ومثلهم من يتعلم العلم ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء **فعن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: "إن أخوف ما أخاف أمتي كل منافق عليم اللسان"**[1] .

وعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ قال : " **مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجهُ الله عز وجل ، لا يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنْ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدُ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** " [2] يعني ريحها ، مبالغة في تحريم الجنة لأن من لم يجد ريح الشيء لا يتناوله قطعًا [3] .

٤ ــ إثم المفتي إذا لم يتثبت من فتواه :

من صفات علماء الآخرة : أن لا يتسرعوا إلى الفتوى ، وأن لا يفتوا إلا بما يتيقنون صحته ، وقد كان السلف الصالح يتدافعون الفتوى حتى ترجع إلى الأول ، وقد قال عبد الرحمن ن أبي ليلى رحمه الله [4] : أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ، ما أحد يسأل عن حديث أو فتوى إلا ودَّ أن أخاه كفاه ذلك ثم قد آل الأمر إلى إقدام أقوام يدَّعون العلم اليوم ــ وخاصة في عصرنا الحالي ــ يقدمون على الجواب في مسائل لو عرضت لعمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ لجمع أهل بدر واستشارهم ، **ولذلك حذر ﷺ من ذلك فقد روى أبو**

---

(١) رواه البزار في كشف الأستار ١/ ٩٧ ح ١٦٨ ، وأورده الهيثمي في المجمع ١/ ١٨٧ ، وقال : رواه البزار وأحمد وأبو يعلي ورجاله موثقون .

(٢) أبو داود في سننه : كتاب العلم / باب في طلب العلم لغير الله ٣/ ٣٢١ برقم ٣٦٦٤ ، وابن ماجه في سننه ــ المقدمة : باب الانتفاع بالعلم والعمل ١/ ٩٢ : ٩٣ برقم ٢٥٢ .

(٣) عون المعبود ١٠/ ٩٨ .

(٤) مختصر مفتاح القاصدين صـ ٢٤ .

هريرة عن رسول الله ﷺ قال : " من قال علي ما لم أقل ، فليتبوأ مقعده من النار، ولمن استشاره أخوه المسلم ، فأشار عليه بغير رشد ، فقد خانه ، ومن أفتى قيسًا بغير تثبت ، فإن إثمها على من أفتاه " (١) .

وها نحن في هذه ألأزمنة المتأخرة تجد التسرع والتجرأ على الفتوى في كل صغيرة وكبيرة ويتحدث بها كل من لديه قليل علم أو من ليس لديه علم حتى أصبح شرعنا عرضه لينال منه كل حابل ونابل ويتحدث فيه من هو من أهل العلم الشرعي وغيره مع أن الأصل في قانون الحياة العامة الرجوع إلى كل متخصص في مجاله عملاً بقوله تعالى : ﴿ **فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ **(النحل : ٤٣)** فهل ترى مريضًا بالقلب يذهب إلى طبيب الأمراض الباطنية أو العكس ــ أو لم يتذكر هؤلاء أو يمر عليهم قوله ﷺ **فيما رواه أبو هريرة مرفوعًا : " مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَّوأ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ "** (٢) فنسأل الله السلامة والعافية .

---

(١) الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين ١/ ٤٠ ، وقال هذا حديث حسن وعزاه إلى إسحاق بن راهوية في مسنده ١/ ٣٤١ .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه : كتاب العلم / باب إثم من كذب على النبى ﷺ ١/ ٤٠ برقم ١٠٧ ،ومسلم فى صحيحه : المقدمة /باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ١/ ١٠ رقم ٢/٢ .

الخاتمة

إن تربية الإنسان تربية خلقية تقوم على تحلّية بمكارم الأخلاق وتخليه عن مساوئها هي من أهم الضمانات التي كفلها المنهج الإسلامي لكي يعيش الفرد في المجتمع حياة آمنة مستقرة تحقق له بل ولسواه من الناس رضا عن النفس ورضا عن الناس الذين يعايشهم إذا كانوا على مستوى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل.

ــ وبلوغ الإنسان درجة الرضا عن نفسه وهو متحل بالفضائل متخل عن الرذائل ، من أهم الأسباب التي تجعله يحب العمل ، ويحب الإيجابية في الحياة ، وينتظر ذلك من غيره من الناس .

والمجتمع الذي تشيع فيه القيم الخلقية الفاضلة مجتمع قادرٌ أن يحقق أهدافًا اجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية وغيرهم [1] .

ومن هنا نجد أن ألأخلاق لها دور في حياة الفرد والجماعة ولذلك الشريعة اهتمت بها اهتمامًا بالغًا ، وإذا أدرنا أن نجمع ثمار الأخلاق فلا يمكن حصرها فسوف أذكر بعضًا منها :

١ ــ أن الأخلاق الإسلامية لها أثر فعال في كل عمل من أعمال المسلم لها أثر في إيمانه وإسلامه ، وإحسانه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وجهاده في سبيل الله ، وذلك أن هذه الأعمال لا تتم ولا تكون ولا تقبل عند الله إلا إذا كان فيها ألإخلاص والصدق والإقتداء بمحمد ﷺ ، وكل تلك قيم خلقية تربوية جاء بها الإسلام ليصحح بها أعمال الناس .

٢ ــ بالأخلاق الإسلامية يستطيع الإنسان أن يحقق حكمة وجوده لأن الإنسان مطالب بإعمار الأرض ماديًا بالتعامل مع ما سخر الله لها فيها من مخلوقات فإن

---

(١) التربية الخلقية د/ علي عبد الحليم صـ ١٤٦ ، ١٥٣ بتصرف .

حسن الخلق أحد أمور ثلاثة تحقق للإنسان هدفه في هذا [١] فعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت قال رسول الله ﷺ : " **إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُنيا والآخرةِ وحُسْنُ الخُلُقِ وحُسْنُ الجِوَارِ يَعْمُرانِ الدِّيارَ وَيَزِيدانِ في الإعْمار** " [٢] .

٣ ــ للأخلاق الإسلامية أهمية كبرى في مواجهة الغزو الفكري والاتجاهات المذهبية الهدامة داخل ديار المسلمين فقد أدرك أعداء الإسلام أهمية الأخلاق الإسلامية في الحفاظ على الإسلام كعقيدة وشريعة ومعاملات فعمدوا إلى إشاعة الفتنة والفساد لإفساد أخلاق المسلمين ، وجندوا لهذا الغرض الكثير من أعوانهم من أبناء المسلمين لغرس المفاهيم والأفكار والفلسفات الباطلة ، والغرض إفساد النشىء المسلم ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله [٣] .

٤ ــ للأخلاق الإسلامية أهمية في اكتساب الحكمة ، فالخلق الكريم ، والسلوك الحكيم من أعظم الطرق في اكتساب الحكمة ، والنبي ﷺ كان حسن السيرة والسلوك بل كان أعظم خلق الله بحسن خلقه الذي دل عليه سلوكه الحكيم [٤] حتى أثنى الله عليه بقوله : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾(القلم : ٤) .

٥ ــ إن للأخلاق الإسلامية بدايات وكمالات وعلى صاحب الدعوة أن يرتقي في أخلاقه حتى يحقق ــ مستعيناً بالله ــ أعلى الدرجات التي يمكن أن يصل إليها ،

---

(١) من أخلاق المؤمنين د/ حسن جودة صـ ١١ ، ١٢ بتصرف .

(٢) أحمد في مسنده ٦/ ١٥٩ ، وأبو يعلي في مسنده ٨/ ٢٤ برقم ٤٥٣٠/ ١٧٤ ، وأورده الهيثمي في المجمع ٨/ ١٥٣ ، وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن عبد الرحمن بن القاسم لم يسمع من عائشة ، وأورده الألباني في السلسلة ٢/ ٤٨ برقم ٥١٩ ، وعزاه للإمام أحمد وأبي يعلي وساق شواهد للحديث .

(٣) أصول الأخلاق الإسلامية د/ بدر عبد الرزاق الماص صـ ٢٨ ، ٣١ بتصرف .

(٤) المصدر السابق .

وليدع بهذا الدعاء [١] " **اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لا يَهْدِي لأحْسَنِهَا إلا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا ، لا يَصْرِفُ عَنَّي سَيِّئَهَا إلا أَنْتَ** " [٢] .

٦ ــ إذا كان الإيمان يزيد ويكمل بالطاعات وينقص بالمعاصي ، فإن حسن الخلق من أحسن الطاعات التي تكمل الإيمان [٣] فعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ : " **أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحَسَنُهُم خُلُقًا** " [٤] .

٧ ــ أن الأخلاق الإسلامية مكفرة للذنوب وذلك كما روي أبو هريرة ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : " **حسن الخلق يذيب الخطيئة ، كما تذيب الشمس الجليد** " [٥] .

٨ ــ حُسن الخلق يجلب الخير وذلك كما روي عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت :" قال رسول الله ﷺ : " **إذا أراد الله بقوم خير أدخل عليهم الرفق** " [٦] .

٩ ــ إن لحسن الخلق مكانة عظيمة عند الله وعند رسوله فعن أبي الدرداء ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : " **مَا شَيئُ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ** " [٧] .

---

(١) أخلاق المؤمنين د/ حسن جودة صـ ١٢ .

(٢) تقدم تخريجه صـ٤ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب الرضاع / باب ما جاء ف يحق المرأة على زوجها ٤٦٦/٣ برقم ١١٦٢ ، وأبو داود في سننه : كتاب السنة / باب الدليل على زيادة الإيمان ٢١٩/٤ برقم ٤٦٨١ ، وأحمد في مسنده ٢/ ٢٥٠.

(٥) رواه الطبراني في مكارم الأخلاق / باب ما جاء في حُسن الخُلق صـ ٤٣ رقم ١١ .

(٦) أخرجه الهيثمي في كشف الأستار : كتاب الأدب / باب ما جاء في الرفق ٢/ ٤٠٤ رقم ١٩٦٥ ، وفي المجمع ٨/ ١٩ ، وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، والطبراني في مكارم الأخلاق ، الموضع السابق صـ ٤٩ برقم ٢٦ .

(٧) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب البر والصلة / باب ما جاء في حُسن الخلق ٤/ ٣١٩ برقم ٢٠٠٢ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو داود في سننه : كتاب الأدب / باب في حُسن الخلق ٤/ ٢٥٣ برقم ٤٧٩٩ .

١٠ ــ حُسن الخُلق يدخل الجنــة فقد سئل ﷺ عــن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال ﷺ " **حُسن الخُلق وذلك فيما رواه أبو هريرة ــ رضي الله عنه ــ أن رســول الله ﷺ : سُئِلَ عَــنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : تَقْوَى اللهِ وحُــسْنُ الْخُلُــقِ ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ ؟ فَقَالَ : الْفَمُ وَالفَرْجُ**" [(١)] ، **ومما يؤكــد ذلــك ويقويــه وصية رســول الله ﷺ لمعاذ بــن جبل ــ رضــي الله عنــه ــ : "اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةُ بِالحسنة تُمْحُها ، وخَالِقِ النَّاسَ بَخُلُقِ حَسَنٍ**"[(٢)].

١١ــ إن التمسك بالأخلاق الإسلامية تؤدي إلى التمكين في الأرض وسعة السلطان والعزة والكرامة وذلك لأن القرآن الكريم ربط بين الصلاح ــ وهو من الأخلاق ــ وبيــن ميراث الأرض والتمكين فيها قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْــرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَــادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ (الأنبياء : ١٠٥) ، وأنهــا ترفــع قدر صاحبها في الآخرة فعن ابن عمر ــ رضي الله عنهمــا ــ أن رســول الله ﷺ قال: " **أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن تراك المراء وإن كان محقًــا ، وبيــت فــي وسط الجنة لمن ترك الكــذب وإن كان مازحًا ، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**" [(٣)] **فجعل البيت العلوي جزاء لأعلى المقامات الثلاثــة وهــي حُــسن الخُلق**"[(٤)] .

وممن يجب التنبيه إليــه أن حسن الخلق يجب أن يكــون صفة مستمرة فــي المسلم طيلة حياته فقد روي عن رسول الله ﷺ قال : " **خيــاركم أطــولكم أعمــارًا**

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب البر والصلة / باب ما جاء في حسن الخلق ٤/ ٣١٩ برقم ٢٠٠٤ ، وقال هــذا حديث صحيح غريب ، وابن ماجه في سننه : كتاب الزهد / باب ذكر الذنوب ٢/ ١٤١٨ برقم ٤٢٤٦ .

(٢) أخرجه الترمذي : كتاب البر والصلة / باب ما جاء في معاشرة الناس ٤/ ٣١٣ بــرقم ١٩٨٧ ، وقــال : هــذا حديث حسن صحيح .

(٣) أبو داود في سننه : كتــاب الأدب / باب فــي حســن الخلق ٤/٥٥٤ برقم٤٨٠٠ عن أبي أمامة.

(٤) مدارج السالكين ٢/ ٢٩٤ .

وأحسنكم خلقًا " [1] .

وهذا يؤكد مكانة حُسن الخُلق في الإسلام وفاعليته في المجتمع وأنه صفة ملازمة للمسلمين في التعامل لا تتوقف بسبب من الأسباب ، ومما يؤكد ذلك ويقويه وصية رسول الله ﷺ [2] لمعاذ بن جبل ــ رضي الله عنه ــ " **اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن** " [3] .

والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ويرضى ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

---

(١) الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٣٩ : كتاب الجنائز ترجمة خياركم أطولكم أعمارًا أو أحسنكم عملاً ، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، أحمد في مسنده ٢/ ٢٣٥ ، وأورده في المجمع : كتاب الأدب / باب ما جاء في حسن الخلق ٨/ ٢٢ ، وقال : رواه البزار وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ، ابن حبان في صحيحه (موارد) كتاب التوبة / باب في طول عمر المسلم والنهي عنه تمنيه الموت صـ ٦١٠ برقم ٢٤٦٥ .

(٢) من أخلاق المؤمنين د/ حسن جودة صـ ١١ .

(٣) تقدم تخريجه .

المصادر والمراجع

١ ــ **إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين للعلامة محمد بن محمد الحسيني الزبيدي المشهور بمرتضى** ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان بدون رقم ــ الطبعة وتاريخها .

٢ ــ **إحياء علوم الدين** للإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي وبذيله المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الأحياء من أخبار ــ دار الحديث المصرية .

٣ ــ **أخلاقنا** : د . محمد ربيع محمد جوهري ــ أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد ــ بكلية أصول الدين ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م.

٤ ــ **أصول الأخلاق الإسلامية** : د. بدر عبد الرازق الماص .

٥ ــ **التربية الخلقية** : د. علي عبد الحليم محمود ــ دار التوزيع والنشر الإسلامية بدون رقم الطبعة والتاريخ .

٦ ــ **تهذيب التهذيب** : للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى ــ دار الكتاب الإسلامى ــ بدون رقم الطبعة والتاريخ .

٧ ــ **توجيهات من السنة** : د. محمد رشاد خليفة ــ أستاذ الحديث بجامعة ألأزهر ــ مطبعة المدني ــ القاهرة ــ الطبعة الثالثة .

٨ ــ **الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين** : لأبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي ــ مطبعة دار الحرمين ــ القاهرة .

٩ ــ **الخصائص العامة للإسلام** ــ مكتبة وهبة ــالطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م .

١٠ ــ **خلق المسلم** : الشيخ محمد الغزالي ــ دار الدعوة ــ الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ ــ ١٩٩٠م .

١١ــ **دستور الأخلاق في القرآن**: د. محمد عبد الله دراز ــ تحقيق د.عبد الصبور

شاهين : مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة التاسعة ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م .
١٢ ــ **الرسول المعلم وأساليبه في التعليم** د. عبد الفتاح أبو غُدة ــ دار البشائر الإسلامية ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الرابعة ١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م .
١٣ ــ **سلسلة الأحاديث الصحيحة** : للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ــ مطبعة المعارف للنشر والتوزيع ــ الرياض بدون رقم الطبع ١٤٢٥هـ ــ ١٩٩٥م .
١٤ ــ **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة** : للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ــ مطبعة المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .
١٥ ــ **سنن ابن ماجه** : للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، حققه محمد فؤاد عبد الباقي ــ المكتبة العلمية ــ بيروت ــ لبنان بدون رقم الطبعة والتاريخ .
١٦ ــ **سنن الترمذي** : للإمام أبي عيسى الترمذي بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ــ طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٧م ــ الطبعة الأولى .
١٧ ــ **سنن أبي داود** : للحافظ أبي سليمان الأشعث السجستاني ــ طبعة دار الحديث ــ القاهرة ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م .
١٨ ــ **سنن النسائي** : للإمام أحمد بن شعيب الخرساني النسائي حققه الشيخ خليل بن مأمون شيحا ــ دار المعرفة ــبيروت ــ لبنان ــ الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٧م .
١٩ ــ **شرح النووي لصحيح مسلم** : للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي ــ المطابع الأميرية ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م .
٢٠ ــ **صحيح البخاري** : للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ــ اعتنى به وأعده للنشر ــ محمد تامر ــ جامعة القاهرة ــ طبعة مؤسسة المختار للتوزيع والنشر ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٢م ــ مطبعة دار الشعب .
٢١ ــ **صحيح الجامع الصغير وزيادته** : تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ــ المكتب الإسلامي بدون رقم الطبعة والتاريخ .

٢٢ ــ **صحيح مسلم** : للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ــ مطبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م بدون رقم الطبعة .

٢٣ ــ **الصمت وحفظ اللسان** : لحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا ــ تحقيق د. محمد أحمد عاشور ــ دار الاعتصام ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م .

٢٤ ــ **عدة الصابرين:** للإمام شمس الدين بن قيم الجوزية ــ تحقيق د. حامد أحمد الطاهر ــ دار الفخر للتراث ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م .

٢٥ ــ **عون المعبود شرح سنن أبي داود** : للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ــ مطبعة المكتبة السلفية ــ المدينة المنورة ــ الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م .

٢٦ ــ **فتح الباري شرح صحيح البخاري** : للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ــ المطبعة السلفية ــ القاهرة ــ الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ .

٢٧ ــ **فقه السيرة** : لشيخ محمد الغزالي ــ دار الدعوة ــ الإسكندرية ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية بدون تاريخ .

٢٨ ــ **كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة** : للحافظ نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي ــ مؤسسة الرسالة ــ ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م ــ بيروت ــ لبنان

٢٩ ــ **مختصر منهاج القاصدين** : للإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ــ علق عليه مجموعة من الأساتذة المتخصصين ــ طبعة دار العقيدة للتراث ــ الإسكندرية ــ الطبعة الأولى ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م .

٣٠ ــ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** : للحافظ نور الدين على بن أب يبكر الهيثمي ــ بتحرير الحافظ الجليين العراقي ، وابن حجر ــ مكتبة القدسي ــ القاهرة ١٣٥٣هـ ــ بدون رقم الطبعة .

٣١ ــ **مجمع البحرين في زوائد المعجمين "الوسط والصغير للطبراني** : للحافظ نور الدين الهيثمي ــ تحقيق عبد القدوس بن محمد نذير ــ مطبعة الرشد للنشر والتوزيع ــ الرياض ــ السعودية ــ الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م .

٣٢ ــ **مدارج السالكين بين منازك إياك نعبد وإياك نستعين** : للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب لابن القيم الجوزية ــ تحقيق ــ عماد عامر ــ طبعة دار الحديث ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م .

٣٣ ــ **المستدرك على الصحيحين مع ذيله التلخيص** : للإمام أبي عبد الله النيسابوري الحاكم ــ مطابع النصر الحديثية ــ الرياض ــ بدون رقم الطبعة .

٣٤ ــ **المسند** : للإمام أحمد بن محمد بن محمد بن حنبل : بهامشة منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ــ دار صادر ــ بيروت .

٣٥ ــ **المسند** : للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ،شرح وتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، وأتمه د. الحسيني عبد المجيد هاشم ــ دار المعارف بمصر ١٣٦٥هـ ــ ١٣٧٥م .

٣٦ ــ **مسند أبي يعلي الموصلي** : للحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي ــ حققه وخرج أحاديثه حسين سليم أسد ــ طبعة دار المأمون للتراث ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م .

٣٧ ــ **مسند الشهاب** : تأليف القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي ــ حققه حمدي عبد المجيد السلفي ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .

٣٨ ــ **المصنف في الأحاديث والآثار** : للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ــ دار الفكر ــ بيروت ــ لبنان سنة ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٤م بدون رقم الطبعة .

٣٩ ــ **مكارم الأخلاق** : للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا ــ

حققه : جيمزأ ــ بلميي ــ مكتبة ابن تيمية بدون تاريخ ــ الطبعة ورقمها .
٤٠ ــ **المعجم الكبير** : للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ــ حققه حمدي عبد المجيد السلفي ــ الطبعة الثامنة ــ دار البيان العربي ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م .
٤١ ــ **المعجم الأوسط** : للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ــ حققه أبو معاذ طارق بن عوض الله ، وأبو الفضل عبد المحسن إبراهيم الحسيني ــ مطبعة دار الحرمين ١٤١١هـ ــ ١٩٩٥م ــ بدون رقم الطبعة .
٤٢ ــ **المعجم الصغير** : للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م بدون رقم الطبعة .
٤٣ ــ **من أخلاق العلماء** : تأليف أبي بكر الحسين بن عبد الله الآجري ــ دار الكتاب العربي ــ القاهرة .
٤٤ ــ **من أخلاق المؤمنين** : تأليف د. حسن جودة ــ دار التوزيع والنشر الإسلامية ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٤م .
٤٥ ــ **منهاج المسلم** : أبو بكر الجزائرى ــ مطبعة العمرانية ــ الجيزة ــ الطبعة الثامنة بدون تاريخ .
٤٦ ــ **موارد الظمأن إلى زوائد ابن حبان** : للحافظ نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي ــ حققه محمد عبد الرازق حمزة ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ بدون رقم الطبعة والتاريخ .
٤٧ ــ **ميزان الاعتدال فى نقد الرجال** : لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ــ تحقيق على محمد البجاوى ــ فتحية على البجاوى ــ دار الفكر العربى ــ بدون رقم الطبعة والتاريخ .
٤٨ ــ **نحو ثقافة إسلامية أصيلة** : د. عمر سليمان الأشقر ــ دار النفائس للنشر والتوزيع ــ الأردن ــ الطبعة السابعة ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩م .

٤٩ ــ **النهاية في غريب الحديث** : للإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك محمد الجزري بن الأثير ــ تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ــ بدون رقم الطبعة وتاريخها .

فهرس الموضوعات

المقدمـــــة..... ٩١١
المبحث الأول : ويشتمل على عدة مطالب :..... ٩١٤
المطلب الأول : مفهوم الأخلاق ٩١٥
المطلب الثاني : الغاية من الأخلاق ٩١٧
المطلب الثالث : حاجة الإنسان إلى الأخلاق ٩٢١
المطلب الرابع : الأخلاق منحة من الله ٩٢٨
المبحث الثاني : ربط العقيدة بالأخلاق **٩٣٦**
ويشتمل على توطئة وعدة مطالب :..... ٩٣٧
المطلب الأول : حرية العقيدة أصل الإيمان ٩٤٠
المطلب الثاني : ربط الإيمان بحب الخير للمسلمين ٩٤٣
المطلب الثالث : الحياء من الإيمان ٩٤٦
المطلب الرابع : الأمانة من الإيمان ٩٥٢
المطلب الخامس : الصبر مقام إيمان ٩٥٩
المبحث الثالث : ربط العلم بالأخلاق **٩٧٢**
ويشتمل على عدة مطالب : ٩٧٢
المطلب الأول : أهمية العلم ٩٧٣
المطلب الثاني : فضل العلم والعلماء .وصور من أخلاقه ﷺ ٩٧٦
المطلب الثالث : من آفات العلم ٩٨٥
الخاتمـــــة : وتشتمل على أهم نتائج البحث ٩٨٩
ثبت المصادر والمراجع ٩٩٤
فهرس الموضوعات ١٠٠٠